يوسف حاجي

أحق الخضرين

الطبعة الأولى

السداسي الأول 2017 م - 1438 هـ

ردمك : 978-9931-615-68-2

العنوان: رقم 11 شارع الاستقلال - باتنة - الجزائر

هاتف: 86 73 49 675 213+ فاكس: 49 20 85 033

البريد الإلكتروني: Elmouthakaf2@gmail.com

تصميم الغلاف: إيمان بلفاسي

تدقيق لغوي : ليلى مرج

إهداء

إلى العقول الحية...

المقدمة

نحن بصدد بث قضية كان من المفروض أن تعالج في 2004 ، لكن لا نعرف سبب تخلي جل المثقفين والمحسوبين على الطبقة المثقفة عن دورهم في تبصير أبناء أمتهم بالواقع وتبسيط الحقائق إلى أن يتمكن منها العوام قبل الخواص، لقد مال الكاتب العربي في الآونة الأخيرة ميلا عظيماً إلى كتابة الروايات والأشعار وتوظيف الخيال في الزمن الذي تعاني فيه الأمة العربية عامة والإسلامية خاصة من التمزق والتطاحن الطائفي والاثني والمؤامرات الخارجية التي تحاك ضدها.

فالإعلام العربي هو الأخر تخلى عن شعار الصدق والمصداقية، والرأي والرأي الأخر وأضحى يفرض على المواطن البسيط ما ينبغي مشاهدته وما لا ينبغي مشاهدته، وما ينبغي أن يؤيده وما لا ينبغي تأييده. فاجتمع صمت المثقف العربي مع الدور السلبي الذي يلعبه الإعلام في تضليل المواطن البسيط الذي لازال يسجد لحبة البطاطا التي نقش عليها لفظ الجلالة- بفعل فاعل- ظناً منه أنها رسالة إلهية أو أن قصة سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف تعيد نفسها. فكان فعلهما فيه رهيب.

بعد سقوط بغداد في سن 2003 ظهرت إيران للعلن تحت شعار الجمهورية الإسلامية التي تسعى إلى أن تكون لاعباً أساسيا في المنطقة وراحت تمد في أذرعها يميناً وشمالاً وفي كل الاتجاهات، فكان لها ما أرادت وأصبحت الآمر الناهي، والعرب حكاماً ومحكومين يصرخون: إسرائيل هي وراء ما يحدث في العراق من فوضى، ثم امتدت أيادي إيران إلى سوريا ومن قبلها لبنان والعرب لا يزالون يصرخون صراخهم القديم ولكن هذه المرة وبكل وقاحة أضافوا له أن إيران تذود عن بيضة الإسلام. ثم استولت إيران على اليمن السعيد وتوسعت في البلاد حتى باتت على مشارف أطهر بقعة في الوجود، وكالعادة لا تزال الأغلبية تنعق نعيقها الأول : إسرائيل هي السبب...، فتعالت بعض الأصوات

في الطرف الثاني والتي بالكاد تسمع تُوجه أصابع الاتهام لإيران وأنها هي وراء ما يحدث من فوضى في العالم العربي فتهمة بالخيانة والعمالة وأنها تسعى إلى إشعال حرب الطائفية وما إلى ذلك من تهم ترمي إلى تشويه الحقائق وتغليفها بغلاف الباطل.

فنحن على ضوء هذا التناقض والتضارب طرحنا الإشكالية التالية: أيهما أخف الضررين على هذه الأمة التي لم تعد تحمل من الأمة إلا الاسم إسرائيل التي صُورة وتصور على أنها العدو الذي يتربص بالعرب خاصة والمسلمين عامة أم الجمهورية الإيرانية التي تنعت بالإسلامية ؟؟ وعلى من تقع مسؤولية الخراب والفوضى التي تحدث في الوطن العربي؟ وهل فعلا إيران هي حامي الحمى؟ سنعمل جاهدين وبكل موضوعية وبعيدا عن التشنج والتعصب على توضيح هذه القضية والإحاطة بجميع جوانبها في متن هذا البحث المتواضع الذي نضعه بين أيديكم، وإن كان قد نعتها الكثير ممن طرحنها عليهم بالحساسة التي لا ينبغي حتى التفكير فيها لأن زمننا أضحى فيه التفكير في مثل هكذا أمور كُفر ينبغي لصاحبه التوبة أو...، ومع ذلك قررت أن أفكر في هذه القضية وأن أبحث فيها وأن أعرض ما توصلت إليه فيها على القراء ليكونوا هم الحكم على ما أضع بين أيديهم ،ولا أبغ أحدا سواهم حكماً،غير أني أود أن أنبه إلى التنبيه الذي نبهنا له في كتابنا الأول- قراءة جديدة لشعر الجاهلي- وهو أن تتجرد من شيئين اثنين أولهما التجرد من عاطفتك فلا مجال في السياسة للعاطفة، والثاني هو إعمال العقل، حتى يسهل عليك التعاطي مع ما نقدم في هذا البحث المتواضع؛ فكن على يقين أن عملنا هذا لم يكن بداعي التهور أو حب الظهور وإنما هو بداعي تدارك ما يمكن تداركه والتنويه بالخطر المحدق بالأمة العربية والإسلامية.

2015/10/02

يوسف حاجي

الفصل الأول
العلاقات العربية الإيرانية

إن الحديث عن إيران التي تصف نفسها بالدولة الإسلامية ذات الغالبية الشيعية يلزمنا بتوقف عند نقطة جوهرية لكي نحدد من خلالها الطائفة المعنية بالكلام في بحثنا هذا، لأن الحديث عن التشيع بصورة عامة مثل ما هو متفشي في المنابر والمواقع التواصل الاجتماعي فيه ظلم لأخوتنا الذين سماهم الدكتور علي شريعتي في مؤلفه–التشيع العلوي والتشيع الصفوي– بـ " التشيع العلوي " فهذا الاسم

الذي يشير بأن هناك فرقة أخرى –التشيع الصفوي– وحتى لا يختلط الأمر على القارئ فيما سنقول سنقف وإياه على نقاط الاختلاف بين (التشيع العلوي والتشيع الصفوي) لنمهد بذلك لولوج البحث و وعي القارئ أي فرقة مستهدفة بالكلام.

لقد تناول فاضل رسول في كتابه – هكذا تكلم علي شريعتي – هذه المسألة فنقل عن الشهيد علي شريعتي قوله:

"إن التشيع العلوي والتشيع الصفوي، يبدوان فرقتين متقاربتين في الظاهر، ولكنهما في الواقع مناقضتان لبعضهما، ولا يوجد ما يربط بينهما سوى الاسم".

سأحاول أن أعرض باختصار مقارنة بين هذين المذهبين وكيف ينظر كل منهما لمبادئ وقضايا أساسية وهامة لدى الشيعة.

1/التشيع العلوي:

***الوصاية:**

تعني أن الرسول صل الله عليه وسلم ، طبقاً لأوامر الله تعالى، أوصى بأفضل الأشخاص وأكثرهم كفاءة في أهل بيته، على أساس كونه أكثرهم علماً وتقوى واستحقاقاً.

***الإمامة:**

تعني قيادة ثورية، تهدي الناس في الكفاح من أجل بناء مجتمع سليم؛ وتقوم بتوعية الناس وحثهم على التفكير والاستقلال في الرأي. إنها قيادة تتكون من أشخاص هم التجسيد العملي لمبادئ ورسالة الإسلام؛ ويمكن العمل تحت قيادتهم أن نتربى ونعي أكثر فأكثر.

***العصمة:**

تعني الاعتقاد بالتقوى الفكرية الاجتماعية للقادة المؤمنين، الشاعرين بالمسؤولية، والساعين من أجل العلم وحكم الشعب. ويعني هذا، رفض حكم الجور، رفض طاعة العلماء المشكوك بنزاهتهم ورجال الدين المزيفين المرتبطين بأجهزة الخلافة.

***الولاية:**

تعني بالقبول بحب علي رضي الله عنه، والتصرف إقتداء بسلوك علي،باعتباره نمودجاً راقياً لأحد عباد الله. كانت قيادته تهدي الناس كسراج منير، وحكمه كان كتطلع الإنسان نفسه عبر التاريخ: أمل في العدل والحرية
والمساواة. وإن في سنوات حكمه الخمس لخير دليل، ينشدها الناس ولا زالو كقدوة.[1]

***الشفاعة:**

حافز على العمل من أجل اكتساب استحقاق النجاة في الآخرة.[2]

---

[1] فاضل رسول –هكذا تكلم علي شريعتي –ص177

[2] المرجع نفسه ص178

***الإجتهاد:**

عنصر الحركة والتطور في الدين عبر الزمن، وخطوة فخطوة مع التأريخ والثورة الدائمة للإنسان .إنه تطور في نظرة الدين يسمح بتطور منسجم في الفقه حسب التغييرات.

***التقليد:**

علاقة منطقية وعلمية ضرورية بين عامة الناس وعلماء الدين المتخصصين في المسائل العملية والحقوقية وقضايا أخرى ذات طابع فني ومتخصص.

***العدل:**

الاعتقاد بوجود صفة العدالة في الله، وبأن الكون قائم على التوازن والعدل، فالنظام الاجتماعي والحياة أيضاً، يجب أن ترسى على أسس العدل. إن الظلم واللامساواة هما نظام غير طبيعي وغير إلهي، بل إنه ضد الله، إن العدل هو أحد ركنين أساسيين في الدين، فالعدل هو هدف الرسالة والشعار العظيم للإسلام.

***الدعاء:**

نص يربي ويعلم، يلقن الجمال والطيبة. إنه عمل يقود الروح نحو المعراج. إنه يبعد المرء لحظات عن الحياة اليومية ليقربه من الله.

***الانتظار:**

الإعداد الروحي والعملي والعقائدي، من أجل الإصلاح والثورة وتغيير العالم. أمل يعين على الإيمان القاطع بزوال الظلم وانتصار الحق والعدل، وسيادة الطبقة المحرومة والمستضعفة على العالم، حيث وعد الله بأن يرث المستضعفون الأرض. إنه ثقة بانتصار الجماهير والناس الصالحين الذين كرسوا أنفسهم من أجل الثورة العالمية.

***الغيبة:**

تعني مسؤولية الناس في تقرير مصيرهم، وفي اتخاذ القرار فيما يخص: إيمانهم، قيادتهم، حياتهم المعنوية والاجتماعية. تعني مسؤولية الشعب في انتخاب قيادة نابعة من صفوفه، قيادة مسؤولة ونزيهة تستطيع أن تنوب عن قيادة الإمام.

إن التشيع العلوي هو: تشيع المعرفة والمحبة.

تشيع السنة.

تشيع الوحدة إن التشيع العلوي هو تشيع العدل (العدل في العالم، في المجتمع وفي الحياة)[3].

تشيع الممارسة.

و تشيع الالتزام.

تشيع الاجتهاد.

إنه تشيع المسؤولية.

تشيع الحرية.

تشيع ثورة كربلاء.

تشيع الشهادة.

تشيع السعي وراء التقدم والتطور.

تشيع التوحيد.

تشيع الاختيار.

تشيع صداقة الحسين.

تشيع الإنسانية.

تشيع الإمامة العلوية.

---

[3] فاضل رسول –هكذا تكلم علي شريعتي –ص 178و179

تشيع الانتظار الايجابي.

تشيع التقية المناضل الشجاع.[4]

2/التشيع الصفوي

***الوصاية:**

تعني تعيين سلطة غير منتخبة، وراثية ، تستند إلى التسلسل الوراثي وعلاقة الدم والقرابة.

***الإمامة:**

هي الاعتقاد بـ(12) اسما، باعتبارهم معصومين ومقدسين عناصر فوق البشر ومن ما وراء الطبيعة، وهم الوسيلة الوحيدة للتقرب والشفاعة. إنهم 12 ملاكاً يمكن عبادتهم، فهم مخلوقات غيبية، بل وآلهة صغيرة تتحكم بالدنيا وبمشيئة الناس إلى جانب الإله الأكبر في السماء.

***العصمة:**

تعني مفهوماً ذاتياً، صفة استثنائية خارقة لمخلوقات غيبية، ليست من طينة البشر، ولا يمكن أن يخطئوا في شيء؛ ويعني هذا بأن 14 شخصاً فقط امتلكوا هذه الذات الخاصة وهذه الصفات. هذا يعني أيضاً، الاعتراف بأن انحراف وعدم نزاهة الحكومات القائمة هي أمر طبيعي (لأنها ليست معصومة)، والقبول بعلماء الدين غير النزيهين ورجال الدين غير المتقين، بحجة أنهم غير معصومين ولا يمكن توقع الكمال منهم.[5]

***الولاية:**

تعني حب علي فقط، والتنصل من كل مسؤولية عملية. تعني الأمل بالجنة فقط، بسبب الاعتقاد بولاية علي. أي أن الولاية هي لضمان الآخرة، وليست

---

[4] المرجع نفسه ص179

[5] فاضل رسول – هكذا تكلم علي شريعتي –ص 180

شيئاً يفيد المجتمع والشعب. إنها مسألة لاتهم الناس بل تهم الله ، فهي تعني في مفهوم التشيع الصفوي التشارك مع الله في إدارة الكون والعالم.

***الشفاعة:**

وسيلة نجاة من لا يستحق!.

***الاجتهاد:**

عنصر الجمود والتحجر في الدين، وعائق أمام التقدم والتجديد والتغيير. وسيلة لإدانة وتكفير وتفسيق كل عمل جديد، كل كلمة جديدة، وكل نهج جديد في الدين ونظام الحياة والعلم والفكر وفي المجتمع.

***التقليـد:**

الطاعة العمياء لرجال الدين. التبعية المطلقة وغير القابلة للنقاش لرجل الدين، وذلك في العقل والعقيدة والحكم. أي حسب تعبير القرآن، عبادة رجال الدين < عبادة الأحبار والرهبان من دون الله >

***العــدل:**

طرح إلهي، يتعلق بما بعد الموت. أما كيف يحكم الله في الآخرة وكيف يقضي بين الناس، فلا علاقة له بالدنيا، لأن الدنيا هي من شؤون " الشاه عباس!!" انسجاماً مع القول دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. الدنيا وما قبل الموت من هي من صلاحيات الشاه عباس، والآخرة هي من صلاحيات الله.

***الدعاء:**

تكرار ممل، مخدر، يعد الناس بآمال واهية. يطمح البعض بثواب عن حسنات لم يعملوها، يقدم بديلاً كاذباً عن بذل الجهود وتحمل الشدائد والمخاطر في الحياة.

***الانتظار:**

الاستسلام الروحي والعملي والعقائدي للأمر الواقع والوضع السائد. تبرير الفساد في الأرض، والنظر

للأمر الواقع وكأنه قدر لا يمكن رده. إلغاء الدور المسؤول للإنسان اليأس من كل إصلاح وتغيير وإدانة أية محاولة في هذا المجال، بدعوى استحالتها قبل ظهور الإمام.

***الغيبـــة:**

سلب المسؤولية من الجميع، تعطيل جميع الأحكام الاجتماعية للإسلام. الاعتقاد بعدم جدوى أي عمل، وبعدم مشروعية أية مسؤولية اجتماعية بحجة أن الإمام الغائب وحده يمكن أن يقود، ووحده يستحق الطاعة

نحن مسؤولون أمام الإمام وحده، لكنه غائب ...إذن فلاشيء يجدي[6] **!!**

التشيع الصفوي هو: تشيع الجهل والمحبة.

تشيع البدعة.

تشيع التفرقة .

تشيع العدل (العدل الفلسفي، العدل في يوم القيامة، عدل مرتبط بالآخرة).

تشيع المظاهر.

تشيع المديح.

تشيع الجمود.

إنه تشيع تجميد وتعطيل جميع المسؤوليات.

تشيع العبودية.

تشيع فاجعة كربلاء.

تشيع الموت.

تشيع الابتهال من أجل النجاح عن طريق الغش.

تشيع الشرك.

تشيع الجبر.

---

[6] فاضل رسول – هكذا تكلم علي شريعتي – ص181

تشيع البكاء على الحسين.

تشيع القومية.

تشيع السلطنة الصفوية.

تشيع الانتظار السلبي.

تشيع تقية الجبان الهارب من النضال.[7]

إن حديث الدكتور علي شريعتي عن الاختلاف القائم بين المذهبيين يوضح مدى خطورة " التشيع الصفوي" على " التشيع العلوي" خاصة على العالم الإسلامي عامة، وأن التشيع الصفوي وجد من طرف جهة معينة تهدف من وراء تثبيته على أرض الواقع إلى خدمة مصالحها الشخصية مُعطلة في ذلك كل ما هو جليل في التشيع العلوي. قد يتساءل الكثير عن طرح هذه القضية وغيرها من القضايا التي سنتطرق لها لاحقاً في هذا البحث الذي يرمي إلى الموازنة بين إسرائيل وإيران!؟ فسيكون جوابنا له وللمتسائلين من أمثاله إنما نسعى إلى طمس الهالة الدينية التي أحاطت بها إيران نفسها لتوهم العالم بأنها دولة إسلامية تسير وفق تعاليم الإسلام وتعمل على إعادة بعث ما نسي منه.

لقد استطاعت إيران أن تزيغ التشيع العلوي عن جادة الصواب وتحوله من مذهب الإنسانية والمحبة والحرية والاجتهاد إلى مذهب القومية والعبودية والجمود.

قلبت ماهية " تشيع علي " وحولوا أئمة الشيعة الذين كانوا نموذج الدفاع عن الحق والعدالة، بحيث قضوا جميعاً بين مقتول ومسموم في طريق المواجهة ضد الجور حولوهم –فجأة – قبل ثلاثة قرون إلى أدوات تبرير للنظام الحاكم.[8]

يضرب لنا علي شريعتي أروع مثال لمنطق التشيع الصفوي فيقول:

---

[7] المرجع نفسه ص182

[8] فاضل رسول – هكذا تكلم علي شريعتي ص111

"وهو منطق الدفاع عن علي والهجوم على الخلفاء وخصومه السياسيين الغاصبين لحقه في خلافة النبي وذلك بأسلوب تشمئز منه النفوس ويتسبب في نفورها عن التشيع وطريقة الشيعة في الاستدلال على الأشياء، وترسم لهذا المذهب الذي يمثل أبهى صور الحقيقة. صورة مشوهة يتجسد عبرها الباطل بأقبح صوره وأشكاله، وكلا الأمرين صحيحان، إذ المسافة بين وجهي التشيع العلوي والصفوي هي عين المسافة بين الجمال المطلق والقبح المطلق، وسوف أورد هنا مثالاً حسياً بسند صحيح وبخط واحد من أبرز الوجوه العلمانية المتخصصة في التشيع الصفوي وهو العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري، وذلك بهدف إطلاع كل من يتلهف للحقيقة من طلاب مدرسة الإمام الصادق ويتعطش للارتواء من زلال التشيع العلوي من أبناء الطبقة المستنيرة المتعطشين للإيمان الحقيقي والباحثين عن سر الانحطاط الذي أودى بفكر المجتمع وحضارته، وليتمكن هؤلاء من الفرز والتمييز الدقيق بين نوعين متضادين من التشيع كل منهما يحمل وجهاً يختلف عن الآخر اختلافاً جوهرياً وله منطق خاص به يُميزه عن الآخر بشكل واضح ومحدد.

والسبب في اختياري لهذه العينة بالذات لتكون مصداقاً أوضح لمنطق التشيع الصفوي هو أن صاحبها يعتبر من أبرز الشخصيات العلمية والمتخصصة لهذه الفرقة،هذا أولاً، وثانياً أنه شخصية معاصرة وبالتالي يعكس واقع علماء العصر الصفوي يلاحظ مدى التشابه والتطابق بين أوضاع المجتمع الإيراني المسلم هذه الأيام وأوضاعه في أيام الصفويين مما يعطي انطباعاً حياً عن الدور الذي لعبه التشيع الصفوي وأقطابه، وذلك لمن يريد أن يبحث القضية تاريخياً واجتماعياً، وثالثاً أن هذه العينة يدور الحديث فيها حول واحد من أهم أصول التشيع وهو إدانة الخلفاء الغاصبين لحق علي في خلافة النبي، ورابعاً أن هذه

المسألة مكتوبة بخط يد السيد العسكري مما يمنحها قيمة علمية من حيث السند.[9]

وبغية توضيح خلفية هذا المبحث وتقييم الدور الاجتماعي الذي لعبه التشيع الصفوي في شق صف المسلمين أمام الخطر الأجنبي المشترك وموقف علماء التشيع الصفوي من قضية الوحدة والتضامن الإسلامي على الصعيد العالمي بإزاء الجبهة المعادية للإسلام والمسلمين، أرى من الضروري الإشارة إلى مفارقة غريبة حصلت عقب حرب الستة أيام سنة 1967واحتلال بيت المقدس من قبل الصهاينة وما رافق ذلك من رفع شعار وحدة الصف بإزاء المستعمر.

إذا بي أواجه وحسينية الإرشاد حملة مسعورة منظمة نتعرض خلالها لاتهامات مدروسة في أكثر من محفل رسمي وعام في طهران وغيرها من المدن، وذلك تحت شعار (الولاية) المقدس ومناهضة خطر (الوحدة) بحيث اتهمت مؤسسة الإرشاد وأنا بالذات بأننا لا نؤمن بالولاية وننكر أهل بيت الرسالة، بل أننا سنة ووهابيون.[10]

وبعد وقفة تأمل اكتشفنا أن هذه الهجمة جاءت بالضبط متزامنة مع الهجوم الصهيوني وبالتحديد بعد شهر من تبني حسينية الإرشاد مهمة الدعوة لدعم الفلسطينيين حتى تم تخصيص رقم حساب في البنك لإرسال المساعدات والتبرعات المالية مع تأييد شخصيات مرموقة في دائرة التشيع العلوي لهذا المشروع، وإثر ذلك صدر بيان من قبل شخصيات محسوبة على الخط الصفوي في التشيع يمكن أن يكون بلحظ نوع الشخصيات وشكل المنطق الاستدلالي والرؤية الطائفية وحجم الاتهامات، مصداقاً بارزاً وسنداً محكماً حول ماهية التشيع الصفوي.

---

[9] علي شريعتي – التشيع العلوي والتشيع الصفوي –ص80

[10] المرجع نفسه ص81

إن رجل الدين الصفوي –ولا أقول العلم الشيعي– متعصب تعصباً أعمى، بمعنى أنه غير قادر على تحمل رأي مخالف وليس لديه أدنى استعداد للإصغاء إليه وفهم ما يقول، وليس المراد من (المخالف) هنا بالضرورة من يخالفه في الدين أو المذهب، بل حتى من يخالفه في نمط التفكير وطبيعة المزاج، فإنه لا يتورع عن تكفيره بدون تردد.[11]

لقد اشتهر علماء الشيعة على مر التاريخ بالانفتاح والتحرر في مجال البحث والمحاججة العلمية وكانوا يحبون الدخول في المناظرات والمناقشات الفكرية والعقائدية وذلك لأن الأجهزة الإعلامية كلها بيد المذهب المخالف والشيعي ليس لديه وسيلة لإثبات حقانية مذهبه سوى اللجوء إلى المحاججة والجدل العلمي كان الشيعة يتمتعون بمهارة فائقة فيه وذلك بخلاف رجل الدين الصفوي الذي كان يتهرب من مواجهة السؤال وإذا مرة عاودت عليه طرح سؤال آخر فإن جوابه سيأتي إليك سيلاً من الشتائم والسباب والاتهام بالفسق والتكفير.

كما قال أحدهم في جواب أحد الكتاب الذي زعم أن بعض الأدعية الموجودة في الكتاب الكذائي سندها ضعيف، فأجابه أحد المشايخ المحسوبين على الخط الصفوي بالقول: وأنت الذي تدعي بأنك ولد أبيك

هل لديك سند قوي بذلك؟

إن رجل الدين الصفوي وإن كان يرتدي في الظاهر نفس الزي الذي يرتديه علماء الشيعة إلا أن المخاطب عنده دائماً هو عوام الناس حتى في مجال البحث العلمي وهو يتهرب من مواجهة العلماء وأهل التخصص ومع أنه يزعم أنه عالم شيعي ويدعي أنه مرجع للعوام في معرفة أمور دينهم، هو في الحقيقة مقلد لعوام الناس وليس سوى أداة رسمية لإصدار الأحكام على ضوء ما استنبطه مريدوه تبعاً لأهوائهم ومزاجهم وبالتالي هو ببغاء تردد ما يقوله العوام

[11] المرجع نفسه ص82

حتى في مجال الاعتراض على نظرية واردة في بحث أو كتاب فتراه يصرح بأن النظرية الفلانية في الكتاب الفلاني باطلة ومخالفة لموازين الشرع المقدس، وعندما يستفسر منه عن الموضع الذي استند إليه في إصدار فتواه يقول إنه لم يطلع على تفاصيل الكتاب ولكن عدداً من الوجهاء المعروفين وفدوا عليه وقالوا له: أن الكتاب الفلاني ينطوي على أفكار ضلال ويجب أن تفعل شيئاً يحول دون أن يقرأه عوام الناس.[12]

الإعجاز الصفوي=الجمع بين الضدين!

ولكن هيهات فإن إكسير الاستحمار الصفوي المشؤوم استطاع أن يصنع من (الدم)(ترياقاً) ومن (ثقافة الاستشهاد) (تزنيمة نوم).

الجهاز الدعائي الصفوي المتكون من روحانية كنائسية (رهبنة) ومن روحانيين هو بمثابة أدوات لدين الدولة الرسمي، نجح هذا الجهاز في إنجاز عملين متضادين:

أولاً: إنه كان مجبراً على حفظ التشيع بل الترويج له، ليشكل منه ركيزة لتسويق نظام حكمه بين الجماهير ويتبع ذلك عزل الشعب الإيراني عن العالم الإسلامي وزرع العداوة والكراهية بين الإيرانيين وغيرهم من المسلمين.

ثانياً: كان عليه أن يبدل جهداً استثنائياً وحاذقاً في شل حركة التشيع ومسخ حقيقتها وإحباط تأثيرها في القلوب والعقول على نحو يبقى على ولكن بدون أن يستلهم الشيعي منه الحرية والعدالة، وتبقى كربلاء ولكن شريطة أن ينام الشيعي ولا ينهض ولا يتدخل بشأن الولاة، ولا مانع من أن يُثار بحث موضوع الإمامة ولكن فقط الاتجاه الذي يزرع الفتنة ويخلق العداوة والبغضاء والعصبية والنعرات القومية بين الترك والعرب، ولا يتعرض للسلطان الصفوي ولا يؤشر على مواقع الخلل والانحراف والمجازر البشعة التي قام بها الشاه عباس، نعم ليبق أصل

[12] علي شريعتي – التشيع العلوي والتشيع الصفوي – ص 85

التشيع ولكن شرط أن لا يتعرض للظالمين، وكذلك الولاية تطرح على المنابر ولكن على النحو الذي يسبح بولايات الجور وباختصار كان على الجميع أن يصبحوا شيعة فإذا تلكؤوا لحظة نالهم حر السيف ولكن أي شيعة؟ شيعة يبكون طوال عمرهم على الحسين ويضعون أيديهم في أيدي ...ماذا أقول.[13]

كيف استطاعت الصفوية أن تنتج تشيعاً يشبه التشيع في كل شيء وليس فيه شيء منه؟!

يا له من مقلب كبير!

تشيع في الظاهر هو أكثر أصالة من التشيع الأصيل وفي الباطن لا ينفع الناس ولا يضر أعدائهم![14]

لم تدخر الدولة الصفوية (إيران) وسيلة ولا حيلة إلا واتبعتها من أجل ضرب وحدة المسلمين وتشتيت شملهم، فتارة يجدها المتتبع لتاريخها السياسي تنفخ في بوق القومية ،وتارة آخر تنفخ في بوق المذهبية وكل ذلك نابع من **حقدها على العرب الذين أتوا على الإمبراطورية الفارسية** بسبب الفتوحات الإسلامية؛ كان لزاماً على نظام الحكم الصفوي إعادة القومية الفارسية للواجهة فعمد إلى التشويه الحقائق والتلفيق الأكاذيب إلى أن تأتى له ما أراد وعزل الشعب الإيراني عن أمته الإسلامية، فمن الأساليب الخبيثة التي انتهجها رأس النظام الصفوي ومن يحيطون به لتثبيت قواعد دولتهم العزف على وتر القومية الإيرانية ووتر المذهبية الشيعية.

1/القومية الإيراني

2/المذهب الشيعي

1-القومية الإيرانية:

---

[13] علي شريعتي - التشيع العلوي والتشيع الصفوي- ص 149

[14] المرجع نفسه ص 151

في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد بني العباس انحسرت(الخلافة الإسلامية) تاركة المجال للحكومة العربية لتحتل محلها. ومنذ ذلك الحين أُحييت روحية الزهو والتفاخر العربي في جهاز الحكم الأموي وواكب ذلك بطبيعة الحال احتقار القوميات الأخرى وبالذات القومية الإيرانية. وكرد فعلٍ على ذلك برز الشعور العرقي في نفوس الإيرانيين وتولدت تيارات تدعو لإحياء التراث الوطني القومي والاعتزاز بالهوية الإيرانية. وقد تبلورت تلك التيارات أكثر شيء في الحركة التي اصطلح عليها بالحركة الشعوبية. وقد حملت الشعوبية في بداية ظهورها شعار(التسوية) أي مساواة العجم بالعرب. وذلك بموجب الآية القرآنية:{ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}. ولكن بعد فترة تحولت الحركة الشعوبية تدرجياً من حركة (تسوية) إلى.[15] حركة (تفضيل) تدعو إلى تفضيل العجم على العرب وعملت عبر ترويج المشاعر القومية وإشاعة اليأس من الإسلام إلى ضرب سلطة الخلافة وفصل الإيرانيين عن تيار النهضة الإسلامية المندفع –رغم الظلم والفساد الحكومي – إلى الأمام بقوة حيث انصهرت في بوتقة هذا التيار ثقافات شتى لأمم شتى باستثناء إيران التي حاولت أن تنأى بنفسها وتتخذ منحى آخر توطد فيه العلاقة بين إيران الإسلام وبين إيران التراث.

ورغم أن مشاعر الاستعلاء الأموية والعنصرية العربية التي خيمت على جهاز الخلافة الأموي كانت قد خلقت مناخاً مناسباً لنمو المشاعر الوطنية والقومية إلا أن النهضة الشعوبية أخفقت في تحقيق طموحها على الرغم من أنها انطلقت انطلاقة قوية[16].

---

[15] المرجع نفسه ص 120

[16] المرجع نفسه ص 121

وأما الآن فالصفوية تريد أن تلعب الدور ذاته في مقابل مركز الخلافة الإسلامية في (اسلامبول) وعليها إذن أن تسلك الطريق ذاته في تأجيج الشعور القومي وإحياء السنن والعادات والأعراف الإيرانية القديمة والتفاخر ببطولات الأسلاف وذلك كي يتسنى للدولة الصفوية أن توطد علاقتها بالشعب الإيراني عبر إثارة هذه المشاعر. ولكي يستعيد الإيراني نزعته الاستقلالية الانفصالية عن الجسد الإسلامي الكبير وبدلاً من أن يستند إلى الإسلام الذي يجمعه مع التركي والعربي – أعداء الصفوية– يحاول الاستناد إلى تراثه القومي وانتمائه العرقي الإيراني.

ولكن هل تكرر الحركة الصفوية الخطأ ذاته الذي وقعت به من قبلها الشعوبية فجفت عروقها وهي في البداية المشوار؟ كلا! لقد تفادت الصفوية تكرار الخطأ الشعوبي، وبغية ترسيخ أفكارها وأهدافها في ضمائر الناس وعجنها مع عقائدهم وإيمانهم، عمدت الصفوية إلى إضفاء طابع ديني على عناصر حركتها وجرها إلى داخل بيت النبي إمعاناً في التضليل ليتمخض عن ذلك المسعى حركة (شعوبية –شيعية) موظفة الشعوبية في تحويل تشيع الوحدة إلى تشيع التفرقة، ولم يكن ذلك الهدف الذكي والطموح البعيد متيسراً إلا عبر تحويل الدين الإسلامي وشخصية محمد وعلي إلى مذهب عنصري وشخصيات فاشية! تؤمن –أيضاً– بأفضلية اقتراب الدم الإيراني، والفارسي منه على وجه الخصوص. وبالذات السلالة الساسانية من بين الفرس!

هذه الخطوة هي خطوة الأولى، أما الخطوة الثانية فهي تلفيق رواية مضحكة– لفقتها دون شك الشعوبية الأم! – ومفادها أن فتاة من السلالة الساسانية قيض لها الزواج بشاب من سلالة محمد وأهل بيت النبوة عد المسلمين، وقد أسفر هذا الزواج الميمون عن ولادة صبي يمثل ملتقى النبوة بالسلطنة وتتجلى فيه أواصر الارتباط القومي المذهبي، وهو(الإمام الأول) (التشيع الشعوبي)المنبثق

عن(الإسلام الفاشي) الذي جاء به نبي (نازي) حاملاً لواء (الإمامة العنصرية)[17]!

والفتاة المقصودة هنا هي (جهانشاه) والشاب هو (الحسين بن علي) ويروي صاحب كتاب بحار الأنوار-محمد باقر المجلسي- تفاصيل هذه القصة فيقول:روي عن جابر عن أبي جعفر قال لما قدمت ابنة يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس وخاتمتهم على عمر وأدخلت المدينة استشرفت لها عذارى المدينة وأشرق المجلس بضوء وجهها ورأت عمر فقالت(آه بيروز باد هرمز) فغضب عمر وقال شتمتني هذه العلجة وهم بها فقال له علي: ليس لك إنكار على مالا تعلمه فأمر أن ينادي عليها فقال أمير المؤمنين (المقصود علي) لا يجوز بيع بنات الملوك وإن كن كافرات ولكن أعرض عليها أن تختار رجلا من المسلمين حتى تتزوج منه وتحسب صداقها عليه من عطائه من بيت المال يقوم مقام الثمن فقال عمر: أفعل وعرض عليها أن تختار فجالت فوضعت يدها على منكب الحسين فقال:(جه نام دارى اى كنيزك) يعني ما اسمك يا صبية قالت: جهانشاه. فقال: بل شهربانويه قالت: تلك أختي. قال: (راست كفتى) أي صدقت ثم التفت إلى الحسين فقال: احتفظ بها وأحسن إليها فستلد لك خير أهل الأرض في زمانه وبعدك وهي أم الأوصياء الذرية الطيبة فولدت علي بن الحسين زين العابدين.

ويروى أنها ماتت في نفاسها به وإنما اختارت الحسين لأنها رأت فاطمة وأسلمت قبل أن يأخذها عسكر المسلمين ولها قصة وهي أنها قالت: رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين كان محمدا رسول الله دخل دارنا وقعد مع الحسين وخطبني له وزوجني منه فلما أصبحت كان ذلك يؤثر في قلبي وما كان لي خاطر غير هذا فلما كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد قد

---

[17] علي شريعتي – التشيع العلوي والتشيع الصفوي –ص122و123

أتتني وعرضت علي الإسلام فأسلمت ثم قالت: إن الغلبة تكون للمسلمين وإنك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمة لا يصيبك بسوء أحد قالت: وكان من الحال أني خرجت إلى المدينة ما مس يدي إنسان[18].

سنكتفي في التعليق على هذه القصة بتعليق علي شريعتي إذ يقول: يروي العلامة المجلسي في بحار الأنوار (ج11-ص4)- بعد نقل أخبار حول زواج الإمام مثيرة للغثيان- إن والدة الإمام هي بنت يزدجرد التي جيء بها أسيرة في زمان الخليفة عمر، وقد أعجب بها الإمام الحسين، وتزوجها فولد له منها ابن واحد هو الإمام زين العابدين(ع).

ومن جهة نحن نعلم أن الإمام السجاد ولد عام 38ﻫ أي بعد عشرين عاماً من زواج الإمام الحسين!

وقد صرحت هذه القصة بأن (شهربانو) كانت من أسرى فتح المدائن، وأن عمر كان ينوي قتلها ولكن الإمام علي هو الذي أنجاها من الموت، وواضح جداً أن واضعي هذه القصة هم من أنصار الشعوبية الإيرانية وأنهم أرادوا من ذلك إظهار أن عليا(ع) كان يساند الساسانيين ويدافع عنهم وذلك في مقابل عمر الذي كان عدوهم وهازم جيوشهم!

غير أن هؤلاء فاتهم أنهم حينما أردوا إثبات أن الإمام السجاد هو حفيد يزدجرد وأمه شهربانو، أوقعوا أنفسهم في إشكال تاريخي عويص وهو لزوم أن يكون الإمام الحسين تزوج في العام 18ﻫ (عمره حينها 15 سنة) بينما الإمام السجاد ولد 38 للهجرة، ومن المنصوص عليه أنه لم يولد له شهربانو سوى الإمام السجاد، وهذا يعني أنها لم تلد من الإمام الحسين إلا بعد مضي عشرين عاماً!

---

[18] محمد باقر المجلسي – بحار الأنوار – ج 11 ص 10

غير أن العلامة المجلسي عندما تنبه إلى هذه المشكلة بالرواية حاول ترقيعها بالقول أنه ليس من المستبعد أن تكون كلمة (عمر) الواردة في الرواية تصحيفاً لكلمة (عثمان) فيكون الزواج قد تم في عهد عثمان لا في عهد عمر!

والواقع أن هذه المحاولة –إذا قبلت –فإنها سوف تحل إشكال التفاوت الكبير بين وقت الزواج ووقت الولادة ولكن إشكالاً آخر أكثر إحراجاً سوف يظهر فيها وهو طول المسافة الزمنية بين انكسار جيش يزدجرد وبين أسر بناته! هذا مضافاً إلى أن الرواية تضمنت التصريح بأن الأسرى هم أسرى (المدائن) فهل يقول المجلسي أنها مصحفة أيضاً؟!

ويتطرق العلامة المجلسي إلى بيان اسم أم الإمام وهل هي سلامة أو خولة أو غزالة أو شاه زنان أو... فيقول: إنهم جاءوا ببنت يزدجرد إلى المدينة وما إن وقعت عينها على عمر حتى غضبت وسبت عمراً[19] فسبها هو أيضاً وأمر بأن تباع شأن سائر الأسرى فاعترضه أمير المؤمنين بالقول أن بنات الملوك لا تباع وتشترى وإن كانوا كفارا، وأشار عليه بأن يزوجها رجلاً من المسلمين ويدفع صداقها من بيت المال!

وفي ذيل هذه الرواية المنسوبة إلى الإمام الصادق نصغي إلى الحوار الآتي بين الإمام علي وابنة يزدجرد:

– فقال: جه نام داري أي كنيزك؟ يعني ما اسمك يا صبية؟

– قالت: جهان شاه.

– فقال: بل شهربانويه.

– قالت: تلك أختي.

– قال: راست كفتى. أي صدقت...!

---

[19] علي شريعتي – التشيع العلوي والتشيع الصفوي –ص125

ويبدو أن الناقل أو(مختلق) هذه لهذه الرواية لم يكن يدري أن الإمام علي (ع) حتى لو سلمنا أنه تحدث معها بالفارسية إلا أن اللغة التي كان سيتحدث بها لم تكن مفهومة عند بنت يزدجرد وذلك لأن الإمام يتحدث باللهجة الفارسية الدرية وهي لهجة محلية لأهالي خرسان بينما كانت بنت يزدجرد تتحدث باللغة البهلوية الساسانية! هذا أولاً وثانياً أن عبارة (اي كنيزك) الواردة في الرواية من الواضح أنها من الاصطلاحات الرائجة في زمان الراوي لا في زمان الحدث!

وإذا أمعنا النظر في الرواية نلاحظ شيئاً غريباً وهو الإمام كان يخاطبها بالفارسية بينما هي تجيب بالعربية!

والأغرب من ذلك التوجيه الذي ذكره العلامة المجلسي بإزاء تسمية الإمام لها(شهربانويه) بدلاً من(جهان شاه) حيث أوعز العلامة المجلسي ذلك إلى أن كلمة (شاه) هي من أسماء الله تعالى مستدلاً على ذلك بما جاء في الخبر من أن علة النهي عن الشطرنج وجود عبارة الشاه مات[20].

إن الرواية المشار إليها أعلاه لا تنسجم بحكم العقل مع القرائن التاريخية المعروفة كما أن تفاخر الإمام بكونه من أحفاد ساسان يتنافى مع روح التشيع مثلما أن الحديث عن أفضلية قريش أو الفرس على غيرهم مما يتنافى وروح الإسلام العظيم، مضافاً إلى أن مدلول الرواية في تضاد مع منطق العقل السليم، ومن الناحية النقلية فإن أغلب الباحثين حول الإسلام وإيران القديمة من المستشرقين شككوا في صحة هذه الرواية مع كونها تنسجم مع ميولهم وتوجهاتهم الخاصة في النيل من أصالة حركة الإسلام، ومن هؤلاء "هرمان مآته " و " إدوارد براون" و"كريستنسان" وغيرهم ...[21]

---

[20] علي شريعتي – التشيع العلوي والتشيع الصفوي –ص126

[21] المرجع نفسه ص 129

وأما من المنظار الرجالي والحديثي للشيعة فإن هذه الرواية ينقلها شخصان أحدهما إبراهيم بن إسحاق الأحمري النهاوندي والأخر هو عمرو بن شمر، وعلى ضوء معايير علم الرجال عند الشيعة يعد الأول متهم العقيدة بينما الثاني جعالاً ووضاعاً للحديث. ولو نتفحص مقاطع الرواية المنقولة في الكافي لوجدنا فيها أكثر من نقطة ضعف.[22]

وهكذا يتضح لنا أن هذه القصة رغم خوائها وسخفها من الناحية العلمية والتاريخية،إلا أن طريقة تلفيقها وتمريرها سياسياً واجتماعياً كانت على مستوى عالٍ من الدقة والذكاء بحيث تكون جديرة بتحقيق الهدف البعيد للشعوبيين في ربط القومية المشارفة على الزوال بالدين الذي مازال في طور النشوء والازدهار وكذلك في إضفاء مسحة من القداسة الإسلامية على قيم جاهلية منبوذة وإعطاء بعد وتفسير عرقي لإقبال الإيرانيين على اعتناق الإسلام رغبة بإدامة النبض العرقي الساساني حتى لما بعد الانقراض، وقد تضمن البرنامج والمخطط المدروس المحاور التالية:[23]

1/ إظهار عمر بمنزلة العدو رقم واحد لعلي: وشجب مناوئته لحامل لواء الإسلام والحلقة الأولى في سلسلة أهل البيت وأبي الأئمة، وذلك انتقاماً من دور عمر البارز في القضاء على الدولة الساسانية وتقويض وجودها.

2/ إلقاء تبعة انقراض الدولة الساسانية على عمر لا على الإسلام.

3/ تلقين الناس على أن الخلافة كانت تعادي السلطنة الساسانية أما الإمامة فكانت بمنزلة المدافع عنها.

4/ أن تسنن عمر هو عدو السلطنة الساسانية (قصة بنت يزدجرد) بينما كان علي محامياً عنها !

---

[22] المرجع نفسه ص129

[23] المرجع نفسه ص 134

5/ أن دخول إيران في الإسلام لم يقع إثر فتح المدائن بواسطة عمر أو غزو المسلمين لإيران، بل هو نتيجة مجيء النبي وابنته فاطمة إلى المدائن ودخول قصر يزدجرد وعقد شهربانو لابنه الحسين ومن ثم دعوتها إلى الإسلام!

6/ أن يزدجرد آخر الأكاسرة الساسانيين كان قد انكسر بواسطة عمر وأن النبي هو الذي أعاد له شأنه ومكانته المرموقة بالمجتمع الإيراني وذلك من خلال إدخاله في بيت النبي –عبر أحدوثة الزواج!– ليصبح أحد طرفي السلسلة وطرفها الآخر هو النبوة .

7/ أن بنت يزدجرد تمثل البقية الباقية من السلالة الساسانية. وقد أسلمت بدعوة من فاطمة بنت النبي وزوجها النبي لابنه وشفاعة علي لدى عمر نجت من بين مخالبه، وباقتراح منه أصبح لها الحق انتخاب الزوج والحصول على صداقها من بيت مال المسلمين، وقد اختارت من بين جميع شباب المدينة الحسن والحسين ومن بينهما اختارت الحسين (لأن الإمامة ستستمر في عقبه)[24]

8/ توزيع وتقسيم الفضائل ومناقب أئمة أهل البيت على السلالتين عرقيتين : سلالة نبي الإسلام والملك الساساني يزدجرد

9/ استمرار الإمامة من الإمام السجاد إلى الإمام المهدي يعكس استمرار السلطنة الساسانية.

10/ النور المحمدي المنبلج من النور الإلهي يمتزج مع المجد الأيزدي المستمد وجوده من أهورا مزدا.

11/ حضور السلطنة الساسانية من وراء موقعية الأئمة الذين تستمر حكومتهم على السموات والأرضين إلى يوم القيامة.

---

[24] المرجع نفسه ص 136

12/ أن عمر هو الذي حرم السلالة الساسانية من موقية الحكم كما أنه حرم السلالة المحمدية من حق الخلافة، وأن هذا الحق المغتصب للسلالتين سوف يتجلى في شخص الإمام الغائب صاحب الزمان الذي هو سليل النبي ويزدجرد والذي سوف يظهر وينتقم لجميع المستضعفين المظلومين وسوف يعيد الحق والحكم المغتصبين إلى أصحابه الشرعيين، وأنه لن يقيم حكومة العدل الإلهي ويملأ الأرض قسطاً سوى ذلك الفتى المتحدر من السلالتين العرقيتين (كسرى وهاشم)[25]

على هذه الوتيرة أثرت عملية إحياء الخصائص القومية والوطنية في عزل المواطن الإيراني عن العربي والتركي، وألقت الزيت على نار الاختلاف العرقي والقومي الثقافي بين الإيرانيين وغيرهم ما أدى إلى تراجع الشعور الديني المشترك لصالح الشعور القومي وإضعاف الحس الإسلامي الوحدوي، وبذلك استطاعت الشعوبية الصفوية – بعد ما اكتست بلباس التشيع الأخضر – من إيجاد حاجز كبير من المجتمع الإيراني المسلم وسائر المجتمعات الإسلامية برغم محافظة الإيرانيين على هويتهم الدينية كمسلمين .[26]

فلم يتوقف التشيع الصفوي عند حد إحياء خصائص القومية والوطنية بين الإيرانيين بل عمد إلى طمس كل ما هو جميل في التشيع العلوي الذي لا يستطيع أي أحد من الساعين لبث الفتنة بينه وبين أهل السنة. فالدكتور علي شريعتي رحمة الله عليه يرصد لنا كيف تمكن التشيع الصفوي من التوسع على حساب التشيع العلوي فيقول في كتابه الإمام علي في محنه الثلاث : إن التشيع الصفوي الذي أخذ يستشري هذه الأيام ويرفع راياته قبال التشيع العلوي لم يكن وليد العهد الصفوي فقط بل أنه وجد منذ أن وجد التشيع العلوي، غاية ما في الأمر أنه أكتسب الرسمية والسيطرة في العهد الصفوي.

---

[25] علي شريعتي – التشيع العلوي والتشيع الصفوي- ص137
[26] المرجع نفسه ص138

إن التشيع الصفوي باعتباره اتجاهاً ومذهباً صنع بصورة التشيع العلوي – وإن كان من حيث المحتوى ضد التشيع العلوي – منذ البداية.

بعد أن طمس التيار الصفوي الحقيقة داخل إيران، وأوهم الشعب الإيراني أنه لا منجي ولا مخلص لهم سواه أعلن قيام الدولة الصفوية التي نسبت لمؤسسها إسماعيل الصفوي الذي ينحدر من سلالة الشيخ (صفي الدين الأردبيلي) وكان هذا الإعلان في عام 1501م الذي اتخذ من مدينة (تبريز) عاصمة لدولته، وأعلن أن دولته (شيعية إمامية اثنا عشرية)، وقام بفرض عقيدته بالقوة،على الرغم من أن علماء الشيعة حذروه بأن لا يفعل ذلك، لأن الأغلبية الإيرانية الساحقة تنتمي إلى أهل السنة.. لكنه رفض وقال قولته الشهيرة:(إنني لا أخاف من أحد، فإن تنطق الرعية بحرف واحد، فسوف أمتشق الحسام، ولن أترك أحداً على قيد الحياة)[27]

وأجبر سكان إيران على وضع علامة القزلباش، واضطهد مخالفيه من أهل السنة وقتل منهم نحو عشرين ألفاً وكان يمتحنهم بطرق شتى، وأمر بإخراج جثث رؤساء الآق قوينلو من القبور وإحراقها. وتوجه أعوانه ومريدوه ملكاً على إيران ولقبوه بأبي المظفر شاه إسماعيل الهادي الوالي، وذلك في عام(907هـ/1501م) فضرب النقود باسمه وكتب عليها " لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله " ثم كتب اسمه كما أقام الخطبة باسمه كدلالة على قيام الدولة ، ثم أمر الخطباء والمؤذنين بإضافة تشهد الشيعة في الأذان " أشهد أن علياً ولي الله " و" حي على خير العمل" ولعن الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل أبا بكر وعمر وعثمان مع المبالغة في تقديس الأئمة الأثني عشر،

---

[27] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي لهـ- ص 20

فاستسلم الناس لهذا التصميم من جانبه. والواقع أن التوحيد المذهبي الذي فرضه الشاه إسماعيل الأول وحد البلاد اجتماعياً وعسكرياً[28]

بعد أن بسط إسماعيل الصفوي سلطانه على مشارق إيران ومغاربها وتمكنه من فرض مذهبه كدين للدولة وجه أنظاره تلقاء الدولة المجاورة له، فحدته من الغرب العراق ومن الشمال الغربي الأناضول قلب الدولة العثمانية النامية والسنية المذهب وفي الشمال الشرقي قبائل الأوزبك بزعامة محمد الشيباني وفي الشرق قبائل الأفغانية وفي الخليج العربي كان الأسطول البرتغالي هو المسيطر، ويكمن الهدف من ذكر هذه الدول هو الوقوف على الضرر الذي لحق بها من إيران (الدولة الصفوية)، فهذا الضرر الذي ألحقته إيران بالدول المجاورة لها ناتج عن بغضها للمذهب السني وأتباعه سواءً كانوا عربً أم عجم؛ ولتكن البداية من العراق الذي عان ويعاني من وحشية هذا الوباء الذي نهب البلاد وأباد العباد ونبش حتى القبور وحرق جثث ساكنيها لأنهم كانوا من أتباع المذهب السني.

الاستيلاء على العراق:

امتدت الدولة الصفوية فيما بعد في كل أنحاء إيران وما جاورها، فقضى (الشاه إسماعيل) على الدولة التركمانية السنية في إيران، ثم سيطر على (فارس وكرمان وعريستان) وغيرها وكان في كل موقعة يذبح عشرات الآلاف من أهل السنة إلى أن هاجم بغداد واستولى عليها، ومارس أفضع الأعمال فيها ضد أهل السنة، ومما فعله: قام بهدم مدينة بغداد وقتل الآلاف من أهل السنة، واستخدم التعذيب الشديد بحقهم قبل قتلهم، ثم توجه إلى مقابرهم، فنبش قبور موتاهم، وأحرق عظامهم، واستخدم التعذيب الشديد بحقهم قبل قتلهم، ثم توجه إلى مقابرهم، فنبش قبور موتاهم، وأحرق عظامهم!

---

[28] الدكتور محمد سهيل طقوش – تاريخ الدولة الصفوية في إيران – ص55

كما توجه إلى قبر(أبي حنيفة) و(عبد القادر الجيلاني) ونكل بهما ونبشهما! وكذلك قام بقتل كل من ينتسب لذرية القائد المسلم (خالد بن الوليد) في بغداد لمجرد أنهم من نسبه وقتلهم قتلة شنيعة.[29] فإن دل نبش القبور على شيء إنما يدل على حقد الصفويين على أهل السنة.

فاجتياح الشاه الصفوي للعراق لم يكن من أجل استعراض عضلات أو النزهة بل كان ناجماً عن ثلاثة دوافع حركته ودفعته بقوة لتحقيق غايته فيأتي على رأسها الدافع المذهبي: كانت حركة الشاه تعتمد على المذهب ومسؤولة عن انتشاره ومن ثم كانت سيطرته على كربلاء والنجف، وهي الأماكن المقدسة لدى الشيعة تعطي حركته دفعاً قوياً وتُحقق هدفاً مذهبياً.

ومن حيث الدافع السياسي فإن التداخل الاثني بين الدولتين الصفوية والعثمانية أدى دوراً خطيراً في دفع الشاه إسماعيل الأول إلى مهاجمة العراق وضمه إلى أملاكه، فقد كان يسكن في جنوبي الأناضول، وديار بكر قبائل تركمانية استقطبها شيوخ الصفوية قبله، وكان زعماء هذه القبائل مع بداية القرن السادس عشر الميلادي على استعداد لتنفيذ رغباتهم المبيتة لحركتهم، ولما اعتلى الشاه العرش في تبريز كان عدد أتباعه قد تنامى وأخذ يشكل خطراً سياسياً واضحاً على ولاية تكة وقتلوا حاكمها، كما تغلبوا على قرة كوز باشا حاكم قرمان الذي تصدى لهم، ثم اجتازوا توقات واستولوا عليها وخطبوا فيها باسمه، يضاف إلى ذلك فإن سيطرته على العراق تكسبه مكانة رفيعة لدى المسلمين الشيعة، كما أن مسألة الحدود بين الدولتين العثمانية والصفوية وعدم تحديدها تحديداً واضحاً ودقيقاً، شكل سبباً سياسياً آخر. تعددت بسببها الأزمات بينهما بفعل تحركات القبائل الكردية التي كانت تجتاز الحدود وتثير مشكلات معقدة، وكانت تصحب

---

[29] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له- ص22

هذه التنقلات، في معظم الأحيان، اعتداءات على قوافل الحجاج الإيرانيين وعلى القوافل التجارية. ومما شجع[30]

الصفويين على غزو العراق أن نصف سكانه كانوا شيعة، ومما ساعد العثمانيين على صد الصفويين عن العراق أن نصف سكانه كانوا أهل السنة.

ومن حيث الدافع الاقتصادي، فإن خصب العراق الزراعي يمكن أن يسد الكثير من حاجات سكان إيران يضاف إلى ذلك، أن الشاه أراد السيطرة على الطريق التجاري المار بديار بكر والموصل والذي يقطع عمق وادي الرافدين نحو الخليج العربي عبر بغداد، وتُعد الموصل، رأس هذا الطريق، الباب الطبيعي لشمالي العراق عبر اتصالها بأقاليم الأناضول وبلاد الشام. والجدير ذكره أن الحصار الذي فرضته السلطات العثمانية منذ أواخر عهد السلطان بايزيد الثاني على حركة التجارة الإيرانية كان مؤثراً بحيث اضطر التجار الإيرانيون إلى التحول نحو الجنوب[...] وما إن علم باريك بك برناك، عامل الآق قوينلو على بغداد بزحف القوات الصفوية حتى غادر المدينة، فدخلتها القوات الصفوية من دون قتال، وخُطب للشاه إسماعيل الأول على منابرها، كما صكت النقود باسمه دلالة على ضمها إلى ممتلكات الدولة الصفوية وذلك في عام (914هـ/ 1508م)[31]

عندما وصلت أخبار المجازر الصفوية وممارستها إلى السلطان العثماني (سليم الأول) عام 1514م، قام بتجهيز جيشه وحرر بغداد بعد ست سنوات من الاحتلال الصفوي، وأسر زوجة (إسماعيل الصفوي)، وقتل المتواطئين على احتلال العراق .[32]

---

[30] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران ص59

[31] المرجع نفسه ص60

[32] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له- ص22

العلاقة مع الأوزبك:

إن علاقة الأوزبك مع الصفويين لم تكن أحسن حال من علاقة العراق مع الصفويين، فلقد طال الأوزبك نصيبهم من شر إيران المتطاير الذي يسعى للهيمنة على المنطقة. ففي عهد محمد شيباني خان: كانت سيطرة الشاه إسماعيل الأول على إيران غير مكتملة، إذ ظلت الأجزاء الشرقية والشمالية الشرقية وبخاصة خراسان خارج حكمه، ولهذا كان طبيعياً أن يتجهز لكي يستولي عليها ويضمها إلى أملاكه، ما أدى إلى أن يصطدم بقوة فتية ناشئة إلى الشمال الشرقي منه هي قوة الأوزبك بقيادة محمد شيباني خان الذي يسيطر على مساحات شاسعة من الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى الجنوبية لنهر جيحون، وامتدت حدود دولته في الغرب إلى خط محاذ لسمنان في خراسان حتى بدخشان في الشرق، وجنوباً حتى منطقة كاخنيدار وغور الجبليتين في أواسط أفغانستان، فأضحى بذلك على أبواب إيران من الشرق. ولما كانت التوجهات السياسية والمذهبية لكل من الأوزبك والصفويين متناقضة، كان من الطبيعي أن تنشب الحرب بينهما. فقد أراد محمد شيباني خان أن يتابع فتوحه باتجاه الغرب وبخاصة في إيران التي كانت يوماً تحت حكم أجداده بوصفه من سلالة جنكيز خان، كما أن الاختلاف المذهبي بين الأوزبك السنة والصفويين الشيعة ومحاولة الشاه إسماعيل الأول نشر مذهبه بين الأوزبك بالقوة، كان سبباً آخر دفع الطرفين إلى الاصطدام[33]

العلاقة مع العثمانيين

تطورت العلاقة الصفوية – العثمانية – مع مرور الزمن واتخذت شكلاً تصاعدياً ووصلت إلى القمة في معركة تشلديران.[34]

---

[33] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران – ص62

[34] المرجع نفسه ص68

وبدأت العلاقات بين الدولتين الصفوية والعثمانية تسير نحو الأسوأ بعد القضاء على الآق قوينلو، بفعل تنافسهما على اقتسام ممتلكات هؤلاء التي تقع على حدودهما المشتركة، فكان من الطبيعي أن يتصاعد الخلاف السياسي والحقد المذهبي، على أن هذا التنافس استمر مستتراً طيلة عهد السلطان بايزيد الثاني بفعل الاضطرابات في بلاد العثمانيين الناتجة عن ثورات الشيعة والتنافس الأسري على العرش ، ويبدو ذلك من خلال الرسائل المتبادلة بين العاهلين وعندما استولى الشاه على العراق وضمه إلى أملاك الصفويين أرسل إليه السلطان العثماني رسولاً هو محمد جاوش بالابان وحمله الهدايا الكثيرة ورسالة تهنئة غير متوقعة بفتح فارس والعراق، ويبدو أنه كان يهدف إلى تدعيم العلاقات الجيدة مع الشاه، من دون أن يدرك مدى ما يشكله من خطر على دولته، وعندما تمادى الشاه في إلحاق الأذى بالمسلمين السنة، وفرار هؤلاء إلى الأراضي العثمانية، كتب إليه يطلب منه التعقل في معاملة أهل السنة الأحياء منهم والأموات وأن يقتدي بأسلافه العظماء وبتاريخ إيران وحضارتها العريقة.[35]
وفي الوقت الذي كان فيه العاهلان يتبادلان الرسائل الودية، كان الأمير سليم بن بايزيد الثاني يقاتل الصفويين في بلاده ويتعقبهم إلى خارج حدودها، ووصل في إحدى حملاته إلى أرزنجان وأسر إبراهيم شقيق الشاه إسماعيل الأول، فأرسل هذا رسالة احتجاج إلى السلطان العثماني مع التذكير بالصداقة الصفوية العثمانية ولكن السلطان بايزيد الثاني لم يحسن استقبال السفير الصفوي. وعامل الشاه إسماعيل الأول السفير العثماني، الذي حمل إليه الرد، بالمثل فامتهنه امتهاناً شديداً. ومنذ تلك اللحظة تبدلت العلاقة الودية بين الدولتين إلى مواجهة سافرة. وقد ساعد على هذا التحول بروز الأمير سليم كخليفة محتمل لوالده من واقع مساندة الإنكشارية له وتفضيلهم إياه على أخوية أحمد وقورقود.

[35] المرجع نفسه ص 69

وازدادت العلاقة سوءاً في عام(917هـ/ 1511م) إثر الثورة التي فجرها شاه قولي بن حسن خليفة في ولاية تكة في الأناضول، وهو رئيس طائفة تكلو القزلباشية، والتفاف الشيعة المتشددين في المنطقة حوله بوصفه ممثلاً للشاه إسماعيل الأول. وتلقى الثائرون إمدادات من الشيعة المنتشرين في مختلف أنحاء الدولة العثمانية، وقتلوا القائد العثماني الذي كلفه السلطان بإخماد ثورتهم.[36]

لقد بذل الشاه إسماعيل الأول جهوداً جبارة لنشر المذهب الشيعي في الأناضول العثماني ليزعزع بذلك كيان الدولة العثمانية ويجتثها من جذورها، وكان الشيعة في آسيا الصغرى قد ثاروا بزعامة شاه قولي في السنة الأخيرة من حكم السلطان بايزيد الثاني اعتماداً منهم على حكام إيران.[37]

علاقة الصفويين مع الدول الأوربية:

عمل الشاه إسماعيل الأول على توطيد العلاقة مع الدول الأوربية بغية أن تمده هذه الأخيرة بالسلاح والمال فقد عقد مع البرتغال اتفاقية تقضي: أن يحتل الصفويين (مصر والبحرين والقطيف)، ويحتل البرتغاليون(هرمز وفلسطين) لكن العثمانيين أحبطو مخططه هذا، إلى أن هلك (إسماعيل الصفوي) في (تبريز) عام 1524م فخلفه ابنه (طهماسب الصفوي)[38]

الشاه طهماسب الأول

930-984هـ/1524-1576م

[36] المرجع نفسه ص70

[37] المرجع نفسه ص72

[38] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له- ص22

العلاقة مع الأوزبك:

يُعد عهد الشاه طهماسب الأول امتداداً لعهد والده حيث الصراع مع المعسكر السني، وكانت حملته ضد الأوزبك من أولى حملاته خارج إيران لاعتقاده بأنهم يُشكلون الخطر المباشر الذي يُهدد دولته، في الوقت الذي أخذ رجاله الملتفون حوله يتنافسون في إثبات مدى إخلاصهم له عن طريق حملة كبيرة ناجحة.[39]

واستعان (طهماسب) بأحد رجال الدين الشيعة اللبنانيين (نور الدين علي بن عبد العال الكركي)، فكتب له مؤلفات التي تبرر ممارسات الشيعة ضد السنة، وأسس بفكره ومؤلفاته الشيعية لما يسمى بـ(ولاية الفقيه) بأن اعتبر زعيم الدولة الصفوية (نائباً للإمام المنتظر الغائب) وكالة! وعاد نفوذ الصفويين إلى العراق عن طريق عملائهم الشيعة هناك.[40]

العلاقة مع العثمانيين:

ما إن استقر السلطان سليمان القانوني على عرش السلطنة حتى عادت السياسة العثمانية تتجه نحو الغرب، لكن إلى حين، لتبدأ مرحلة أخرى من العلاقات المتجددة مع أوروبا اتسمت بالتوسع في البلقان والبحر الأبيض المتوسط، لكن السلطان العثماني ترك أوروبا في عام (939هـ/1533م) بعد أن عقد اتفاق سلام مع آل هابسبورغ حكام النمسا، وانطلق يحارب الصفويين في إيران والعراق ضمن الصراع المتنامي بين الطرفين، ومن أبرز الدوافع التي دعت إلى إستئناف العمليات العسكرية بين الصفويين والعثمانيين مايلي:

*أثناء انهماك العثمانيين بالحرب مع النمسا، جرى اتصال سري بين الصفويين والمجريين، أسفر عن تعاون الطرفين ضد العثمانيين، العدو المتكافئ لكليهما.

---

[39] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران – ص89

[40] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي لهـ- ص23

*إن حوادث الحدود بين الدولتين الصفوية والعثمانية، الناجمة عن تحركات القبائل الكردية كانت أحد الأسباب المباشرة لإذكاء الحرب بينهما، بالإضافة إلى الأوضاع الشاذة التي تحكم الأقاليم الصغيرة الواقعة على الحدود بين الطرفين والسياسة المتقابلة لحكامها.

*هددت سيطرة الصفويين على بغداد في عام (936هـ/1530م) الطرق التجارية بين الشرق وأوروبا بشكل خطر، بفعل أن العراق كان يربط هذه الطرق.

*استاء العثمانيون من محاولات الشاه طهماسب الأول إثارة القزلباش في الأناضول، مقتفياً بذلك خطى والده الشاه إسماعيل الأول.

التواجد العثماني في أذربيجان:

من أهم الأسباب التي أدت إلى توغل العثمانيين في أذربيجان هو تحرك الصفويون باتجاه الأراضي العثمانية، واندفعوا نحو بغداد بعد أن استقطبوا شرف خان حاكم بدليس الواقعة قرب خلاط جنوبي بحيرة وان على الحدود العثمانية- الصفوية- واستولوا عليها في عام (936هـ/1530م)، وحتى لا يستفحل الأمر أرسل السلطان جيشاً في (صفر 940هـ/أيلول1533م) تعداده مائة وأربعون ألف جندي بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا لمحاربة الصفويين وشرف خان معاً، وأثناء وصول الجيش إلى قونية انضم إليه حاكم أذربيجان، وحتى يبرهن هذا الحكم عن حسن نيته تجاه العثمانيين قتل شرف خان وأرسل رأسه إلى السلطان. وتمكن الجيش العثماني قبل حلول فصل الشتاء، من استعادة بدليس والمناطق الواقعة بين أرضروم وبحيرة وان[41]

[41] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران – ص94

الصراع على العراق:

استمر الصراع الصفوي العثماني على العراق في عهد الشاه طهماسب الأول، وكانت المناطق الوسطى

والجنوبية تحت حكم الصفويين، في حين سيطر العثمانيون على الشمال. وتعاقب حكام بغداد ذوو الميول الصفوية على السلطة وقد انتهجوا سياسة التطرف المذهبي، فكانت أعمال الاضطهاد والملاحقة والابتزاز تُنمي تعاطف السكان مع العثمانيين، وكان هؤلاء من جهتهم يؤكدون عدم استعدادهم لعقد أي سلام أو صلح مع الصفويين، وتميزت الرسائل التي بعث بها السلطان سليمان القانوني في عام (931هـ/1525م) إلى الشاه طهماسب الأول بشهرة واسعة حيث اختلط فيها بالتهديد بالسخرية. أما في الجنوب، فقد كان الحنين إلى العثمانيين يتخذ في البصرة وشرقي شبه جزيرة العرب، مظهراً أقوى فنظر السكان هناك إلى[42] لعثمانيين على أنهم منقذين من عسف البرتغاليين الذين تعاونوا مع الصفويين، وأخضعوا الإمارات والمدن الساحلية، وعززوا سيطرتهم على مضيق هرمز، وزادوا الضرئب المفروضة على عُمان والقطيف والبحرين ومسقط، وفرضوا رقابة على الجمارك، وظهروا في البصرة، ونتيجة إحجام الشاه طهماسب الأول عن مواجهة العثمانيين، وسيطرة هؤلاء على الطرق التجارية التي استخدامها الأمراء المحليون في تنمية ثروتهم من تجارة الحرير، بدأ هؤلاء الحكام يتوجهون إلى استانبول طالبين دعمها ومساعدتها، كما وصلت رسائل استغاثة من البصرة وبغداد.

حصلت في عام (935هـ/1529م) انتفاضة في العراق الأوسط ضد الحكم الصفوي بقيادة ذي الفقار بك، رئيس قبيلة الموصل الكردية. لقد استغل هذا الزعيم الكردي وفاة الشاه إسماعيل الأول وصغر سن الشاه طهماسب الأول،

[42] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران –ص95

فزحف إلى بغداد وقتل حاكمها إبراهيم سلطان وطرد الصفويين، ودخل المدينة وسط تأييد السكان، وأقام سلطته على العراق الأوسط بكامله، ثم أعلن قطع كل علاقة مع الصفويين، وأرسل مفتاح بغداد إلى السلطان سليمان القانوني ودعا له على المنابر ونقش اسمه على النقود العراقية.

نتيجة لهذه الأوضاع قرر الشاه طهماسب الأول أن يستعيد سيطرة الصفويين على العراق، ما يضعه في مواجهة مباشرة مع السلطان العثماني سليمان القانوني، مدركاً في الوقت نفسه أنه لا يستطيع خوض هذه المواجهة منفرداً، لذلك التفت إلى أوروبا وبخاصة الإمبراطورية الرومانية المقدسة والمجر، فبعث برسائل إلى ملكيهما شارل الخامس وفريديناند، يدعوهما إلى التحالف معه، وبذلك يُجبر السلطان العثماني على القتال على جبهتين ما يعطيه فرصة أفضل للانتصار عليه.[43]

النزاع على مناطق الأطراف:

شكل التحرك الصفوي النشط باتجاه الأناضول دافعاً للسلطان سليمان القانوني للالتفات مُجدداً نحو الشرق ذلك أن السلم كان مستتباً على الحدود الشرقية منذ حملة عامي (941-942هـ/1535-1536م)، لكن الدعاية الصفوية استمرت ناشطة لبث المذهب الشيعي في شرقي الأناضول. ولم تضع إجراءات السلطان الأمور في نصابها، ولهذا فإن خطر انحلال نفوذ الباب العالي في هذه المنطقة ظل قائماً. وأتاح صراع داخل العائلة الصفوية للسلطان فرصة للتحرك، فشن الحرب بهدف دعم النفوذ العثماني.

وتأكدت ضرورة القيام بحملة أخرى ضد الصفويين عندما بدأ هؤلاء تنفيذ نشر مذهبهم بالقوة في شروان شمالي أذربيجان وفي داغستان شرقي القوقاز. والمعروف أن الشاه طهماسب الأول بسط سيطرته على شروان في عام

[43] المرجع نفسه ص96

(946هـ/1539م) بعد أن قضى على حكمها شاه روخ الذي تمرد عليه وتوقف عن دفع الأموال المقررة وعين أخاه القاص ميرزا حاكماً عليها.[44]

الشاه محمد خدابندة

985-996هـ/1578-1588م

العلاقة مع العثمانيين

اتسمت العلاقة الصفوية –العثمانية، في عهد الشاه محمد خدابندة، بالعدائية على الرغم من وجود معاهدة صلح بينهما، وقد تزامن اعتلاؤه العرش الصفوي مع قيام الفوضى في أنحاء إيران كافة، نتيجة التنازع الأسري وصراعات القزلباش المنقسمين على أنفسهم، وتسارعت الأحداث في المنطقة نحو الحرب[45]

تقدم الجيش العثماني حتى وصل إلى مناطق الحدود واصطدم بقوة صفوية بجوار قلعة جلدير في (6جمادى الآخرة /10آب) وتكبد القزلباش عدداً كبيراً من القتلى بحيث أقام القائد العثماني برجين من القتلى، ثم واصل تقدمه حتى وصل إلى بلاد الكرج فسيطر على شروان وعين عليها والياً عثمانياً هو عثمان باشا، واستولى على شماخي وبادكوبه والرس ودخل العاصمة تفليس، ثم عاد إلى ولاية أرضروم لقضاء فصل الشتاء.

وحاول الصفويون في غمرة انقساماتهم وقف التمدد العثماني، فأرسلوا أربع فرق عسكرية بإمرة حمزة ميرزا هاجمت شروان، فاضطر عثمان باشا إلى إخلائها واحتمى بمدينة دربند، واستعادت شماخي، وأسرت عادل كراي شقيق محمد كراي الثاني وقتله.

---

[44] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران –ص95

[45] المرجع نفسه ص120

واستؤنفت العمليات العسكرية في الربيع، فقاد الشاه محمد خدابندة جيشاً صفوياً لاستعادة الأقاليم التي استولى عليها العثمانيون.[46]

الشاه عباس الأول

996-1038هـ/1588-1629م

سنكتفي بذكر نزعته الدينية التي تدل على استمرار العداء لأهل السنة.

نزعات الشاه عباس الأول الدينية :

تعصبه الشديد للمذهب الشيعي: اشتهر الشاه عباس الأول بتعصبه الشديد للمذهب الشيعي الاثني عشري، وهو كأسلافه بذل جهداً كبيراً في ترويجه ونشره ومن مظاهر اهتمامه بهذا المذهب أنه كان يحتفل بالمناسبات الشيعية كافة، مثل ميلاد جميع الأئمة الشيعة وإقامة العزاء في ذكرى وفاتهم أو استشهادهم، وكذلك في اليوم التاسع عشر حتى السابع والعشرين من شهر رمضان بمناسبة استشهاد الإمام علي بن أبي طالب، بالإضافة إلى إقامة مراسم العزاء في الأيام العشرة الأولى من محرم وفي ليلة عاشوراء بمناسبة استشهاد الإمام الحسين بن علي، وأبقى الشاه عباس الأول على صيغة الآذان التي استنها جده.[47]

الشاه إسماعيل الأول بإضافة عبارة " أشهد أن علياً ولي الله" إلى جانب الصيغة التي كانت سائدة منذ أيام الفاطميين وهي عبارة " حي على خير العمل " ، وذلك إلى الصيغة الإسلامية المألوفة. واستكثر من زيارة أضرحة مشايخ الشيعة وأئمتهم، والقيام بخدمتها، وقد زار ضريح الإمام علي الرضا في مشهد، مرة سيراً على الأقدام وحافي القدمين ومكث هناك ثلاثة أشهر يقوم بالخدمة. وعندما استولى على بغداد عام (1032هـ/1623م)، وسيطر على العتبات المقدسة لدى الشيعة الموجودة في كربلاء والنجف والكوفة ، سارع بزيارتها

---

[46] المرجع نفسه ص121

[47] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران –ص146

وقضى مدة عشرة أيام في ضريح الإمام علي بن أبي طالب في النجف حيث قام بخدمة زواره، وكنس أرض المقبرة.

موقفه من المذاهب الإلحادية: إن تعصب الشاه عباس الأول للمذهب الشيعي الاثني عشري، دفعه إلى محاربة المذاهب الإلحادية الخارجة على الدين الإسلامي والتي انتشرت في إيران وشكلت خطراً على المذهب الشيعي، ومن بينها المذهب النقطوي.

تعرضت الدعوة النقطوية للملاحقة والتنكيل في عهد الشاه طهماسب الأول ولكن اضطراب الأوضاع أثناء حكم الشاه إسماعيل الثاني والشاه محمد خدابندة، أتاح لها أن تنمو وتزدهر، وشكلت في إحدى مراحلها خطراً مباشراً على المذهب الاثني عشري. وعندما اعتلى الشاه عباس الأول مقاليد الحكم ووقف على مبادئها قرر القضاء عليها والتخلص من أتباعها، فقبض على زعمائها، كان من بينهم درويش خسرو قزويني ويوسف تركشي دوز، وبطش بأتباعها، واضطر من نجا منهم إلى الرحيل إلى الهند حيث عاشوا في كنف حاكمها جلال الدين محمد أكبر الذي اتسم عهده بالتسامح الديني والمساواة بين الجميع الأديان والمذاهب.

موقفه من أهل السنة: دفع تشدد الشاه عباس الأول المذهبي إلى الانتقام من أهل السنة، وزادت المعارك المتواصلة بينه وبين كل من الأوزبك والعثمانيين السنة حدة الخصام المذهبي الذي وصل إلى حد دفعه إلى محاولة إقناع الإيرانيين بالتخلي عن الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج والاكتفاء بزيارة قبر الإمام الثامن علي الرضا في مشهده، بحجة أن الواجب القومي يحتم عدم سفر الإيرانيين عبر أراضي الدولة العثمانية المعادية ودفع رسوم العبور لها، وراح يُكثر من زيارة مشهد كي يرغب الإيرانيين بالذهاب إليها. ونذكر من الأدلة الواضحة على نزعته المذهبية المتشددة ومعاملته القاسية لأهل السنة الحوادث التالية:

-أوقع الشاه عباس الأول بالأكراد الإيرانيين السُنة، ذلك أن القبائل الكردية السُنة، التي كانت تقطن المناطق الشمالية الغربية من أذربيجان ومنطقة كردستان، أعلنت تعاطفها مع العثمانيين عندما استولوا على أجزاء واسعة من أذربيجان، وعندما طردهم الشاه من المناطق التي يسيطروا عليها، صمم على الانتقام من الأكراد وتشريدهم. وما حدث في عام (1023هـ/1614م) من ثورة قامت بها قبيلة مكري.[48]

الكردية ضد الحكم الصفوي؛ أن أمر الشاه جيشه بالتحرك صوب المنطقة الثائرة والاستيلاء على القلاع التي تحصن بها الأكراد ومنها قلعتي بسك وماكو، والفتك بالثائرين، فنفذ الجيش الصفوي عمليات عسكرية ضد القلاع الثائرة، وأجرى فيها مذابح جماعية، وشرد الكثير من الأكراد وسبى النساء والأولاد وتمادى حين هجر قسراً عدداً كبيراً من الأكراد إلى مناطق أخرى، فقد أمر بنقل خمسة عشر ألف أسرة كردية من كردستان إلى شرقي خراسان.

-عامل الشاه عباس الأول سكان أندخود في بلاد ما وراء النهر معاملة قاسية بما أجراه من مذابح عامة بحق السكان، فعلى إثر استيلائه على هذه المدينة في عام (1011هـ/1602م) منح أهل السنة الأمان على أنفسهم وممتلكاتهم وطمأنهم بأنه لن يتعرض لهم بضرر بسبب اعتناقهم المذهب السني، ولكن حدث في العام التالي أن مر على هذه المدينة، خلال عودته من حصار مدينة بلخ، وفجأة ومن دون سبب ظاهر أمر جنوده بالإجهاز على أهلها بالقتل والأسر، فأسر أعيانها وعظماءها وقاضيها، وساق كل جندي صفوي أمامه أسيراً من أهلها.

-اتصف الشاه عباس الأول بالقسوة والخشونة في معاملة أسرى الأوزبك والعثمانيين وكان سمل أعينهم أدنى ما أوقعه بهم، ولم يكن يصفح عن أسير

---

[48] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران – ص148

إلا إذا تخلى عن مذهبه السني واعتنق المذهب الشيعي ومن بين الذين فعلوا ذلك، شريف بك حاكم وان بمنطقة أذربيجان.

-عندما نزل الشاه عباس الأول في عام(1008هـ/1599-1600م) بمدينة سمنان، رفض حاكمها الخضوع لأوامره، فاعتقل عدداً كبيراً من سكانها السنة انتقاماً، وانتزع منهم ثلاثمائة تومان تكفيراً عن ذنوبهم.

وكان الشاه عباس الأول يتجاوز مؤقتاً عداءه المذهبي لأهل السنة، عندما يرى في ذلك مصلحة له ولبلاده، ومن ذلك أنه كان يستقبل التجار السنة القادمين إلى إيران من بلدان أخرى، بحفاوة ويكرمهم مقابل ما يجنيه منهم من منفعة مادية.

الواضح أن عداء الشاه عباس الأول لأهل السنة بعامة وللدولتين اللتين تمثلانهم بخاصة، دفعه إلى التقرب من الدول الأوربية ومحاولته عقد معاهدات مع ملوك أوروبا النصارى من أجل تقويض الدولة العثمانية السنية المذهب.[49]

موقفه من النصارى: عامل الشاه عباس الأول النصارى بعامة على النقيض من معاملة أهل السنة فتغاضى عن نشاط المبشرين الأوربيين الذين يفدون إلى إيران للتبشير بالدين النصراني، وقد ذكرنا أنه شكل جيش خاصاً من النصارى القاطنين في إيران والمناطق الخاضعة لها، ويتودد إليهم براً بهم، وعمد إلى نقل ستين ألفاً من سكان أرمينيا من ديارهم، لحمايتهم من العثمانيين الذين هاجموا أذربيجان في عام(1013هـ/1604م) ووزعهم على ولايات إيران المختلفة، وأنزل بعضهم في ضاحية جديدة بناها خصيصاً لهم بجوار العاصمة أصفهان، عُرفت باسم جلفا وهو اسم عاصمتهم التي هجروا منها في أذربيجان، وبنى لهم فيها كنيسة كبيرة حتى لا يشعروا بتغير المناخ الجديد الذي يعيشون فيه، وحصر الإقامة فيها بالنصارى فقط.

---

[49] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران – ص149

وبالغ الشاه عباس الأول في تعاطفه مع النصارى القاطنين في إيران، كما أحسن استقبال النصارى الأوروبيين الوافدين إلى قصره. ولعل هذه المعاملة الجيدة من ضمن سياسته التجارية والعسكرية من خلال:

-استقطاب عطف الدول الأوروبية النصرانية والتحالف معها ضد العدو المشترك، وهو الدولة العثمانية.

-الاستفادة من خبرة النصارى في بلاده، ولاسيما الأرمن، في تنشيط الحركة التجارية وبخاصة تجارة الحرير.

وأضحت جلفا الجديدة مركزاً نصرانياً نشطاً في إيران، وقد أدت دوراً فاعلاً في المحافظة على الوجود النصراني فيها والتبشير بالتعاليم النصرانية، وأصدر أوامره في عام(1017هـ/1608م) وبعدم التعرض لهم والسماح لهم بحرية التنقل في أراضي الدولة الصفوية. وقد شجعت هذه السياسة، هؤلاء على زيارة إيران أملاً في عقد صفقات تجارية معها.

ويبدو أن الشاه عباس الأول لم يكتف بالمعاملة الجيدة مع النصارى، وحرص على مشاركتهم في احتفالاتهم الدينية. ففي عام (1018هـ/1609م) أحضر من بلد الكرج عدداً من الخنازير ليقدمها هدية لنصارى جلفا في عيدهم، ثم زارهم ليهنئهم بالعيد، وشاركهم في احتساء الخمر، وأمر جميع مرافقيه بالمشاركة في ذلك على الرغم من وقوع ذلك العيد في الخامس عشر من رمضان، غير عابئ بحرمته.

وحاول النصارى من جانبهم الإفادة من هذا التقارب، فعمقوا صلاتهم بالشاه وطلبوا منه السماح لهم بالتبشير بالديانة النصرانية في إيران، وبناء الكنائس في أصفهان وغيرها من المدن الإيرانية، فوافق على طلبهم وأمر ببناء كنيسة في جلفا الجديدة على نفقته الخاصة.[50]

---

[50] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران – ص150

ربما أسهبت في الحديث عن نزعة الشاه عباس الأول الدينية، ولكن إسهابي هذا لم يكن بقصد الحشو مثل ما تعودنا عليه عند الكثير، بل كان متعمد قصد أن أقف بك أيها القارئ على معاملة الشاه لأهل السنة، فهم بالنسبة له والجماعة الإلحادية التي ذكرت في الأول سواء، فعمل على اضطهادهم والتنكيل بهم حتى وإن لم يكونوا مذنبين، بينما نجده يتودد للنصارى ويتقرب منهم وينتهك حرمة رمضان بشربه الخمر كمشاركة منه لهم في عيدهم لإرضائهم؛ فالواضح أن الدين عند الشاه عباس الأول كان عباءة يستتر بها أفعاله الخبيثة التي لا تمت لطائفة الشيعة بأي صلة.

العلاقة مع الدولة العثمانية:

بدت العلاقة بين الدولتين الصفوية والعثمانية إثر توقيع اتفاقية سراب وكأنها تسير نحو الأحسن، لكن الشاه الذي يبدو أنه اضطر إلى توقيع هذه الاتفاقية، ظل يتحين الفرص للانقضاض على الدولة العثمانية وسرعان ما سنحت له الفرصة في عام (1032هـ/1623م) بفعل ما استجد من أحداث استغلها لصالحه نذكر منها:

-عاد الشاه إلى ممارسته القديمة في إضعاف الدولة العثمانية من خلال فرض حصار اقتصادي عليها ضمن مشروع اتفق على تنفيذه مع إنكلترا، ويقضي بضرب البرتغاليين في هرمز وطردهم من الخليج، وقد تم ذلك في السنة المذكورة، فسيطر على هرمز وأخذ يُصدر الحرير منها إلى أوروبا على سفن تابعة لشركة الهند الشرقية الإنكليزية ما حرم الدولة العثمانية من الاستفادة من ضريبة المرور (الترانزيت).

-وقوع اضطرابات في بغداد بفعل ثورة أحد القادة الكبار فيها ويدعى بكر الصوباشي ضد حاكمها يوسف باشا وقتله وسيطر على بغداد معلناً تحديه للحكومة المركزية في إستانبول. ولما كانت بغداد مدينة ذات أهمية إستراتيجية

في السياسة العثمانية العامة، فقد أمرت حافظ باشا حاكم ديار بكر، بتأديبه والإطاحة به فاستنجد هذا بالشاه عباس الأول ووعده بتسليمه بغداد.[51]

جهز الشاه جيشاً وتقدم به إلى بغداد متذرعاً في زيارة العتبات الشيعية المقدسة في العراق ومخفياً الهدف الحقيقي للحملة.[52]

بعد أن سيطر على بغداد، أرسل الشاه عباس الأول بعض فرقه العسكرية فاستولت على الموصل وكركوك، فسيطر بذلك على معظم أجزاء العراق، وثم ذهب إلى النجف فمكث فيها مدة قبل أن يعود إلى عاصمته أصفهان.

لم تسكت الدولة العثمانية على خسارة بغداد، فأمر السلطان مراد الرابع (1032–1050هـ/1623–1640م) الذي خلف السلطان مصطفى الأول، حافظ باشا باستعادة المدينة وطرد الصفويين من العراق فاستولى على كربلاء والحلة ثم تقدم صوب بغداد في (9صفر 1034هـ/21تشرين الثاني 1624م) وأخذ يناوش حاميتها الصفوية، فسارع الشاه عباس الأول بإرسال مدد إلى جنوده المتمركزين في داخلها الأمر الذي أطال مدة المناوشات حتى سبعة أشهر من دون أن يحسم أي جانب المعركة لصالحه. وأرسل السلطان مراد الرابع مدداً لجيشه المتمركز حول بغداد غير أن القزلباش قطعوا الطريق على أفراده وحاصروا الجيش العثماني من الخلف. وتحتم باشا أن يحارب على جبهتين في الوقت نفسه.[53]

العلاقات الخارجية مع العالم الأوروبي:

لعل ما يلفت النظر في عهد الشاه عباس الأول، ذلك الانفتاح الواسع على الدول الأوروبية. وكان حكام إيران الصفويين من قبله يتحفظون على إجراء أي اتصال واسع مع الغرب الأوربي، وإذا حدث وأن زار مبعوث أوروبي العاصمة

---

[51] المرجع نفسه ص180

[52] المرجع نفسه ص 181

[53] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران –ص182

الصفوية، فإن الشاه يستقبله بفتور ظاهر، من ذلك أن ملكة إنكلترا اليزابيت أرسلت في عام (969هـ/1562م) السفير أنطوني جانكسين للاجتماع بالشاه طهماسب من أجل عقد معاهدة صداقة بين البلدين، ولكن الشاه استقبله بفتور ولم يمنحه الفرصة لتحقيق الهدف من زيارته. والواقع أن محاولة الانفتاح الإنكليزي على الصفويين مرده إلى جهود إنكلترا للسيطرة على طرق التجارة الشرقية وإزاحة كل من البرتغال وإسبانيا عنها، نظراً لموقع إيران الاستراتيجي.

وتبدل الوضع في عهد الشاه عباس الأول الذي دفعه عداؤه للعثمانيين إلى الانفتاح على الدول الأوروبية للاستعانة بهم، في الوقت الذي أدرك أهمية موقع بلاده على طريق التجارة، آملاً بتحويل النشاط إلى الجنوب كي يتجنب المرور عبر الأراضي العثمانية ودفع رسوم العبور للعثمانيين.

وأرسل الشاه عباس الأول العديد من البعثات إلى أوروبا لتوطيد العلاقة مع دولها، ودعا الأوروبيين لزيارة إيران وعقد صفقات تجارية معها، كما استقبل العديد من السفارات الأوروبية. واحتشدت في أصفهان البعثات الأوربية التجارية. والتبشير، وحرص الشاه على توفير متطلبات الأمن والراحة لأفرادها.[54]

البعثات الإسبانية إلى الدولة الصفوية: وخطت إسبانيا الخطوة الأولى، فأرسل الملك فيليب الثاني(962-1007هـ/1555-1598م) بعثة إلى إيران في عام (1007هـ/1598م) برئاسة الراهبين البرتغاليين ألفونسو كردور الفرنسيسكي ونيقولا دي ملو الدومينيكاني، وهو المبعوث الخاص للقوات البرتغالية المرابطة في جزيرة هرمز، فقدما الهدايا إلى الشاه وبلغاه تهنئة ملك إسبانيا على انتصاراته على الأوزبك في خراسان.

---

[54] المرجع نفسه ص186

وأرسل ملك إسبانيا فيليب الثالث مبعوثاً إلى الشاه عباس في عام (1011هـ/1621م) هو أنطونيو دى جوفي، وقد اصطحب معه عدداً كبير من المبشرين، فاستقبله الشاه في مشهد.[55]

البعثات الصفوية إلى إسبانيا: بدأ الشاه عباس الأول اتصالاته السياسية الأوروبية مع مملكة إسبانيا، نظراً لتواجدها العسكري في منطقة الخليج العربي وباستطاعتها عرقلة التجارة العثمانية في البحر الأحمر، وهو أحد أهداف الدولة الصفوية، فشكل بعثة برئاسة حسين علي بك بيات.[56]

كما ارتبط الشاه عباس الأول بعلاقات سياسية مع بعض الدول الأوروبية الأخرى مثل بولندا وبروسيا والبابوية والبندقية وروسيا وهولندا، فكان هدف الشاه من هذه التحالفات هو الحشد لحرب الدولة العثمانية بالإضافة إلى التبادل التجاري.

الشاه صفي

1038-1052هـ/1629-1642م

العلاقة مع الأوزبك:

استمرت العلاقة العدائية بين الصفويين والأوزبك في عهد الشاه صفي على الرغم من محاولات بعض الزعماء الأوزبك تلطيفها أحياناً. فقد تعرضت المناطق الشمالية الشرقية التركمانية المنطلقة من خوارزم وبخاصة مدن نسا وأبيورد ودورن وهراة. وقد اعتذر حاكم ياغدريد إسفنديار خان للشاه عن هذه الغارات وحمل أخاه أبو الغازي خان مسؤولية القيام بها، وتدليلاً على حسن نيته أرسله إلى البلاط الصفوي حيث مكث هناك عشرة أعوام، ثم خلف أخاه بعد وفاته في عام (1052هـ/1642م).

---

[55] المرجع نفسه ص187

[56] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران -ص190

ومن جهتهم شن الأوزبك بقيادة ندر خان، حاكم بلخ وأخو إمام قولي خان حاكم بخارى، غارة على قلعة مارجاق، فصدهم القزلباش كما هاجمت جماعة من القبجاق الخوارزميين مدينة هراة.[57]

العلاقة مع العثمانيين:

تجددت العلاقة العدائية بين الصفويين والعثمانيين في عهد الشاه صفي، وتركز الصراع بينهما على بغداد وأرمينيا. فقد استغل السلطان مراد الرابع (1032-1050هـ/ 1623-1640م) وفاة الشاه عباس الأول القوي وصغر سن خلفه، فنهض لاستعادة بغداد من الصفويين، وجهز جيشاً من أجل هذه الغاية عهد بقيادته إلى الصدر الأعظم خسرو باشا، غادر إستانبول في (19ذي القعدة 1038هـ/10تموز1629م) سالكاً المحور الجنوبي: قونية –أضنة –أنطاكية – حلب –الموصل وشهروز، وفي هذه الأخيرة، أعاد بناء قلعة كل عنبر ويبدو أنه رأى أن استعادة العراق لاتتم إلا إذا عُزل عن إيران، ولا يتحقق ذلك إلا بالسيطرة على أذربيجان، لذلك ذهب إلى كركوك حيث أمضى فيها فصل الشتاء واستقطب أكثر من عشرين عشيرة كردية من الذين كانوا تابعين في السابق للعثمانيين، وتحولوا قسراً إلى الصفويين، ثم اجتاز الأراضي الكردية ودخل الأراضي الإيرانية في أذربيجان.

وعندما علم الشاه صفي بتوغل خسرو باشا داخل الأراضي الإيرانية، أرسل قوة عسكرية مؤلفة من أربعين ألف بقيادة زينل خان للتصدي له ووقف زحفه، وخرج هو بنفسه على رأس قوة عسكرية أخرى باتجاه بغداد. وتصدى زينل خان للقوات العثمانية عند قلعة مريقان(22رمضان 1039هـ/5 أيار1630م).[58]

---

[57] المرجع نفسه ص214

[58] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران - ص215

الدولة الصفوية في الشرق (أفغانستان):

استولى الصفويون على مدينة قندهار (جنوب أفغانستان) سنة947هـ، ولكن الأوزبك (السنة) أرجعوها، ثم استولى عليها المغول في الهند سنة 1021هـ، ثم سلموها إلى الصفويين سنة 1038هـ إلى أن سيطروا على كل بلاد أفغانستان الحالية وعينوا حُكمها رجلاً من جورجيا، ولكن الأمير مير أويس (السني) قام سنة 1120هـ، بطرد الصفويين من قندرها وبدأ بتحرير جميع بلاد الأفغان من أيديهم ولكنه مات سنة 1127هـ وعندما كبر ابنه " مير محمود" وبالتعاون مع الأوزبك طردوا الصفويين واستمروا بالزحف على إيران وحطموا الدولة الصفوية ودخلوا عاصمتهم أصفهان، ولم يبق للصفويين إلا رقعة صغيرة في شمال إيران وكاد (مير محمود) أن يدحرهم لولا تعاونهم مع الروس، وفضلوا اقتسام الدولة الصفوية مع الروس ولا يعطوها لمير محمود (السني).[59]

الشاه طهماسب الثاني

1135-1145هـ/1722-1732م

علاقة الصفويين مع العثمانيين في عهد نادر خان:

وفي الوقت الذي كان فيه الشاه طهماسب الثاني ينتظر استعادة أصفهان من الأفغان بجهود نادر خان أرسل سفيراً إلى إسطنبول في عام (1141هـ/1729م) يحمل رسالة تتضمن شرحاً للأحداث الأخيرة الخاصة بدولته، والطلب من السلطان أحمد الثالث التخلي عن المناطق التي سيطر عليها العثمانيون خلال الاجتياح الأفغاني كان من الطبيعي أن يرفض السلطان طلب الشاه ورد السفير خائباً.

أزعج الرفض العثماني نادر خان، فنهض لاسترجاع الأرض بالقوة، فاستولى على الأهواز وهمدان ونهاوند وتبريز. وأثناء وجوده في المدينة الأخيرة تناهى

---

[59] عبد العزيز بن صالح المحمود الشافعي –عودة الصفويين-ص46

إلى أسماعه هجوم الأفغان العبداليين على هراة، فغادر المدينة ورحل مع قواته للتصدي لهم.[60]

إثر تأزم العلاقة بين نادر خان والدولة العثمانية، أعلن الأول أنه سيسير على رأس جيشه للمطالبة بحق له في أراضي العراقية. وكان هذا البلد الولاية الأضعف في خاصرة الدولة العثمانية وبخاصة بعد نشوب ثورة العشائر العربية ضد حكم أحمد باشا.

فاندفع صوب بغداد عبر ثلاثة محاور: محور درنة – شهرزور، ومحور الموصل، ومحور بغداد على أن تلتقي الجيوش الثلاثة عند المدينة لفرض حصار عليها، وقاد بنفسه القسم الثالث من الجيش المتوجه مباشرة إليها. وانتصر أثناء زحفه على قوة عسكرية عثمانية.[61]

نعم هكذا كانت علاقة إيران مع جيرانها العرب في القديم، علاقة مملوءة بالحروب والقتل، علاقة خطها التاريخ في دفاتره بدماء العرب خاصة والمسلمين عامة الذين قضوا في سبيل الذود عن أرضهم وعرضهم ذنبهم أنهم يخالفون إيران في المذهب فهي شيعية وهم سنة يرفضون التحول عن دينهم ودين أبائهم.

أرجو أن أكون قد وفقت بعد أن طُفت بك في تاريخ العلاقة العربية الإيرانية القديم، وأرجو التوفيق في الصفحات التالية سنتحدث فيها عن العلاقات ذاتها ولكن هذه المرة في العصر الحديث حتى ترى بعينك وتصل بعقلك إلى أن السياسة الصفوية هي هي، لم يتغير فيها شيء، بل زادوها تعتيم بأن ألبسوها ثوباً دينياً وأسموها (الثورة الإسلامية) فخاب سعيهم لدى فئة لا تكاد تساوي شيء بالنسبة للفئة التي أفلح فيها سعيهم، فأغلبية العوام وبعض المحسوبين على الطبقة المثقفة صدقوا الشعارات الخداعة التي تتعق بها إيران، فاستبشروا

---

[60] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران – ص246

[61] الدكتور محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الصفوية في إيران – ص249

خيراً وراحوا يهللون لهذه السموم التي حقنت بها إيران الأمة التي تداعت عليها الأمم كما تداعت الأكلة على قصعتها.

وأحب أن تكون البداية في الحديث عن العلاقة العربية الإيرانية من شعار تصدير الثورة والخطة الخمسينية التي تهدف من خلالها إيران الصفوية إلى بسط نفوذها على العالم الإسلامي.

تصدير الثورة والخطة الخمسينية:

منذ بداية انتصار الثورة الإيرانية عام 1979، طالب التيار الداعي لتصدير الثورة باعتبار تصدير الثورة إحدى سبل حمايتها في الداخل، وبعدم الاكتفاء بالدعاية الخارجية للنموذج الإيراني بل بتقديم مساعدات ودعم لقوى سياسية خارج إيران. وخاصة القوى الراديكالية المعادية للنظم القائمة في العالم الإسلامي، وقد طالب الخميني منذ البداية بتكرار ثورة إيران في البلدان الإسلامية الأخرى، كخطوة أولى نحو التوحد مع إيران في دولة واحدة يكون مركزها إيران في المواجهة مع من أسماهم بأعداء الإسلام في الشرق والغرب.[62]

وأعلن الخميني ذلك بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لانتصار ثورته، أي بتاريخ 1980/02/11م، إذ قال: (إننا نعمل على تصدير ثورتنا إلى مختلف أنحاء العالم)!..، ولتحقيق هذه الغاية، تم تشكيل المنظمات الداخلية والخارجية، التي قامت بانتهاكات وأعمال عنف في بعض البلدان العربية، كالكويت والسعودية ولبنان.

عقيدة (تصدير الثورة) الإيرانية نابعة من أمرين اثنين: النزعة القومية الإيرانية المناكفة للعرب، والعقيدة الشيعية الإمامية، التي (تعتبر أهل السنة نواصب كفاراً ينبغي قتالهم وقتلهم، أو تغيير دينهم إلى الشيعة الإمامية)، ولكن وقوع

---

[62] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص71

الحرب العراقية الإيرانية التي هُزمت فيها إيران ثم وفاة الخميني. استدعى إعادة النظر في السياسة الثورية الإيرانية، بهدف ترتيب الأوضاع الداخلية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً بعد هزيمة من جهة، وبهدف الاستجابة لمتطلبات التحولات الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتفرد الولايات المتحدة الأميركية بالهيمنة على العالم من جهة ثانية. لذلك كان لابد من تغيير التكتيك والأسلوب، مع بقاء الهدف الاستراتيجي قائماً: **تصدير الثورة** لكن من غير ضجيج أو إثارة ردود الأفعال السلبية محلياً وإقليمياً ودولياً وهكذا –لتصدير الثورة بالتكتيك الجديد– رُسمت الخطة الخمسينية (أي مدتها خمسون سنة)[63].

تتوزع الخطة على خمس مراحل، مدة كل مرحلة عشر سنوات:

أ/المرحلة الأولى (مرحلة التأسيس ورعاية الجذور): إيجاد السكن والعمل لأبناء الشيعة المهاجرين إلى الدول المستهدفة، ثم إنشاء العلاقة والصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال والمسؤلين الإداريين في تلك الدول، ثم محاولة خلخلة التركيبة السكانية عن طريق تشتيت مراكز تجمعات أهل السُنة وإيجاد تجمعات شيعية في الأماكن الهامة.

ب/المرحلة الثانية (مرحلة البداية): العمل من خلال القانون القائم وعدم محاولة تجاوزه، ومحاولة التسرب إلى الأجهة الأمنية والحكومية، والسعي للحصول على الجنسية المحلية للمهاجرين للشيعة ثم التركيز على إحداث الوقيعة بين علماء السنة(الوهابيين) والدولة، من خلال تحريض العلماء على المفاسد القائمة وتوزيع المنشورات باسمهم، وارتكاب أعمال مريبة نيابة عنهم، وإثارة الاضطربات ،ثم تحريض الدولة عليهم ، وذلك كله للوصول إلى هدف إثارة أهل السنة على الحكومات، وحتى تقمع تلك الحكومات أهل السنة. فيتحقق انعدام الثقة بين الطرفين.

---

63 الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له- ص15

ج/المرحلة الثالثة(مرحلة الانطلاق): ترسيخ العلاقة بين الحكام والمهاجرين الشيعة العملاء، وتعميق التغلغل في أجهزة الدولة، وتشجيع هجرة رؤوس الأموال السنية إلى إيران، لتحقيق المعاملة بالمثل، ثم ضرب اقتصاديات تلك الدول، بعد السيطرة عليها.

د/المرحلة الرابعة (بداية قطف الثمار): التي تتميز بالوصول إلى المواقع الحكومية الحساسة، وشراء الأراضي والعقارات، وازدياد سخط الشعوب السنية على الحكومات بسبب ازدياد نفوذ الأغراب الشيعة.

هـ/ المرحلة الخامسة (مرحلة النضج): فيها تقع الاضطرابات الشديدة، وتفقد الدولة عوامل قوتها(الأمن والاقتصاد)، وبسبب الاضطرابات يتم اقتراح تأسيس(مجلس شعبي)، يسيطرون عليه ويقدمون أنفسهم مخلصين لمساعدة الحكام على ضبط البلاد، وبذلك يحاولون السيطرة بشكل هادئ على مفاصل الدولة العليا فيحققون هدف(تصدير الثورة) بهدوء وإن لم يتم ذلك، فإنهم يحرضون على الثورة الشعبية، ثم يسرقون السلطة من الحكام. [64]

لو راقبنا السياسة والتحركات التي تنتهجها إيران قصد التغلغل داخل العديد من البلدان العربية ولإسلامية، وسلوك التحريض وتحريك الأنصار ودعمهم الذي تمارسه داخل هذه البلدان. سيتأكد لنا أن الخطة الخمسينية المذكورة آنفاً تسير على أحسن وجه بالنسبة لإيران في غفلة من العرب والمسلمين؛ سنعرض فما يلي بعض الدول التي تتعرض لهذه الهجمة:

أولاً: الخليج والعراق وشبه الجزيرة العربية

منذ انتصار الثورة الإيرانية عام 1979،عمدت إيران إلى التعبئة الإعلامية لشيعة دول الخليج للتمرد على أوضاعهم، خاصة أن الشيعة شكلوا 75% من سكان البحرين، و30–40% من سكان الكويت، 30% من

---

[64] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له- ص18

سكان الإمارات وسكان المنطقة الشرقية بالسعودية. وقدمت إيران تأييداً معنوياً وإعلامياً لتظاهرات الشيعية بالسعودية في إقليم الأحساء عامي 1979و1980، واتهم الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي الإيرانيين بأنهم إرهابيو الخليج. كما تفجر العنف بين الحجاج الإيرانيين والموالين للخميني من جهة، ورجال الدين السعوديين وأنصارهم من جهة أخرى، مما أدى إلى مصرع عشرات الحجاج في موسم الحج عام 1987. وواصلت إيران دعم منظمة الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية المعارضة للحكم السعودي، والتي تبنت عملية تفجير في مكة في موسم الحج لعام 1989، وألقت السعودية تبعيتها بشكل ضمني على إيران عند وقوعها، ومارست هجوما إعلاميا على إيران. رغم أن عملية اقتحام الحرم المكي عام 1400هـ ينظر إليها كتجاوب مع الثورة من جانب الشيعة وقوى سنية رغم تأييد الخميني لحادث اقتحام الكعبة.

وقد استضافت إيران حركات معارضة سعودية، وعراقية وبحرينية، ونظمت مؤتمرات سنوية لهم، ووزعت نشرات عليهم ووجهت أجهزة الإعلام إليهم، وحضت على التظاهرات لترويج العداء للملكية كمؤسسة، واستغلت دور رجال الدين الشيعة في المنطقة بما يمنحها أوراقا إضافية في التعامل مع الأطراف الدولية والإقليمية الأخرى.[65]

وقد اتهم رئيس وزراء البحرين بتدريب مئات من شباب الخليج في معسكرات بإيران للقيام بأعمال تخريبية وجاء ذلك عقب محاولة الانقلاب الفاشلة بالبحرين عام 1981 وتبنى إيران لأنشطة الجبهة الإسلامية البحرينية. وقد أدان مجلس التعاون الخليجي محاولة الانقلاب هذه في إطار إدانة التدخل الإيراني في شؤون دول المجلس. وقد قصرت إيران في مرحلة لاحقة نشاط الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين على المشاركة في المؤتمرات الإسلامية التي تنظمها

[65] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص79

إيران. كذلك تجددت الاتهامات البحرينية لإيران في يونيو 1996 بتدريب وتوجيه الجناح العسكري لتنظيم لم يعرف من قبل باسم " حزب الله" وذلك في مدينة قم الإيرانية بهدف قلب نظام الحكم في البحرين وإقامة نظام موالى لإيران، وهو تطور أدى إلى سحب البحرين سفيرها من طهران وإعلانها اعتقال 13 بحرينيا ضالعين في التنظيم السري.

أما بشأن المعارضة الشيعية العراقية، فقد استضافت إيران المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بقيادة آية الله محمد باقر حكيم منذ عام 1984، ومنحتها تدريبًا عسكرياً على يد الحرس الثوري الإيراني، ووفرت لها ممرات للتوجه للقيام بعمليات.[66]

داخل العراق من الأراضي الإيرانية. وأشارت بعض التقارير إلى معسكر تدريب للمعارضة العراقية في منظرية بشمال طهران. وبعد فترة الانتصار العراقي في الحرب مع إيران عامي 1980و1981، فإن النشاط الإيراني الخارجي في العراق عاد بقوة منذ تحول الإيرانيين للهجوم ودخول الأراضي العراقية عام 1983، والتأكيد الإيراني على شعار إسقاط الحكم في العراق وإقامة حكم إسلامي هناك.

العمل السياسي الإسلامي الشيعي الراديكالي. وقد اتهم الحكم العراقي المنظمات الموالية لإيران بالمسؤولية عن عدة انفجارات منذ عام 1979، بدءاً بمحاولة اغتيال طارق عزيز وزير الخارجية حينذاك وتفجير الجامعة المستنصرية، وانتهاء بحوادث اختراق الحدود بين البلدين منذ انتهاء حرب الخليج الثانية، وحدوث انفجارات في الجنوب، كذلك تعبئة المسلحين الشيعة في منطقة الأهوار للعمل ضد الأهداف الحكومية في المنطقة خاصة منذ انتفاضة الشيعية في الجنوب في مارس عام 1991.

---

[66] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص80

اتهمت العراق إيران بدعم المعارضة الكردية المسلحة خاصة خلال سنوات الحرب العراقية /الإيرانية، وتحديدا دعم الحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي للهجوم على شمال العراق الثري بالنفط، انطلاقا من مواقع إيرانية.[67]

إن حملات التطهير العرقي والمذهبي ضد أهل السنة في العراق بعد غزو أمريكا للعراق، مترافقة مع حملات التهجير الواسعة لهم من مناطق جنوبي العراق، وإطلاق الدعوات لتقسيم العراق على أساس طائفي، مع استمرار تحريض المحتل الأمريكي على شن حملات الاعتقال والتنكيل والتصفية، ضد أهل السنة العراقيين، وضد مساجدهم ومؤسساتهم وأحزابهم وحركاتهم.[68]

وقال الكاتب الفلسطيني الدكتور " عزام التميمي": إن إيران هي الحاكم الفعلي في العراق، وهناك جرائم حرب ترتكب ضد السنة بعلم البيت الأبيض)[69]

ويقول الجنرال الأمريكي جورج كيسي شارحاً دور إيران في توظيف المتطرفين السنة والتذرع بهم لشن هجمات طائفية توسع من نفوذها في بلاد الرافدين: " إن إيران تستخدم الإرهاب كوسيلة من أجل الوصول إلى أهدافها في العراق " واتهم النظام الإيراني بدعم ميليشيات تعمل على إشعال الطابع الطائفي في العراق، متهما إيران بالمسؤولية عن مقتل الآلاف من العراقيين.

أما في حديثه عن تفجير المرقدان الشيعيان فيقول: " إن إيران هي المسؤولة عن التفجير الذي تعرض له مقام الإمامين العسكريين في سامراء في عام ألفين وستة، وذلك من خلال ضبط مواد متفجرة إيرانية الصنع استخدمت في تفجير المراقد آنذاك، وقد تم إبلاغ رئيس الحكومة نوري المالكي عن مسؤولية فيلق

---

[67] المرجع نفسه ص81

[68] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له- ص56

69 جريدة الخليج الجديد- دعاة ونشطاء يحذرون من جرائم إيران وأهدافها التوسعية- http://www.thenewkhalij.com

القدس والميليشيات المرتبطة به عن إثارة العنف والنعرات الطائفية في العراق.[70]

استنكرت مجلة " نيوزويك" الأمريكية ما وصفته بالتواطؤ الدولي إزاء جرائم قوات الحرس الثوري الإيراني بحق المدنيين في العراق، بعدما حررت القوات التي يقودها الجنرال قاسم سليماني بعض المناطق هناك، من تنظيم الدولة الإسلامية {داعش}.

وقالت المجلة واسعة الانتشار: إن ميليشيات الحشد الشعبي المدعومة عسكريًا من إيران ارتكبت جرائم بحق السُنة في العراق في المدن التي حررتها من تنظيم {داعش} الإرهابي، حيث تعرضت مناطق سُنية بالكامل للإبادة على يد قوات سليماني، ما أسفر عن نزوح جماعي وتهجير قسري للسكان من مناطقهم، ووصفت تلك الجرائم بأنها تأتى على مرجعية طائفية.

وأكدت المجلة وجود تجاهل إعلامي للجرائم التي ترتكبها الميليشيات الإيرانية في العراق، نظرًا لاهتمام وسائل الإعلام الغربية بهزيمة {داعش} وطردها من العراق، وتأمين المصالح الأمريكية والأوربية في المنطقة أكثر من اهتمامها بالجرائم الطائفية.[71]

وأوضحت " ناهدة الدايني " في اتصال مع الجزيرة أن هذه المليشيات – الحشد الشعبي – تحركت من قرى عدة عصر أمس وحاصرت النازحين من عشيرتي الجبور والمهداوية السنيتين. وأعدمت سبعين منهم بينهم نساء وأطفال أخذتهم من أحضان أمهاتهم وقتلتهم، ومعظم القتلى إصابتهم بالرأس.

---

[70] صحيفة العرب– جورج كيسي شاهد على جرائم إيران في العراق–
http://www.alarab.co.uk

[71] جريدة البوابة – نيوزويك تستنكر التواطؤ مع جرائم إيران في العراق
/http://www.albawabhnews.com

كما فجرت هذه المليشيات – التي قالت الدايني إنها تتحرك بسيارات الدولة وتتمتع بامتيازاتها – 12 مسجدا ومئات المنازل بالمنطقة[72]

سنكتفي بهذا القدر من الأدلة والشهادات التي تؤكد على أن المشروع الصفوي يسير وفق ما خطط له النظام الصفوي منذ عهد (الشاه إسماعيل)، فلك التوسع في هذا والاستزادة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي والمجلات والجرائد المملوءة بالأدلة التي تثبت التورط الإيراني في سفك الدم العراقي سواء كان هذا الدم سني أو مسيحي أو حتى شيعي يغار على وطنه ويأبى تدنيس الفرس لأرضه الشريفة العفيفة؛ فإيران تصفي كل من يقف في طريق مشروعها الصفوي الفارسي الرامي للهيمنة على المنطقة وإعادة بعث الإمبراطورية الفارسية.

ثانياً: لبنان

حركة (أمل) الشيعية اللبنانية، هي الحركة التي أسسها (موسى الصدر) الفارسي الإيراني، وخرج من رحمها (حزب الله) الذي أسسه السفير الإيراني الأسبق في دمشق (علي أكبر محتشمي بور)، وذلك بسلخ مجموعة قيادية عن (حركة أمل)، مكونة من عدد من تلاميذ (الخميني)، وقد دُشن انسلاخهم وتشكيل حزبهم الجديد، بأداء القسم الخاص في حضرة السفير (المحتشمي بور) في دمشق بأن يكونوا أوفياء للخميني، وللثورة الشيعية الفارسية، ولولاية الفقيه...ثم رُصِدت ميزانية مالية تلتزم إيران بتقديمها للحزب[73]

وصلت في عهد (حسن نصر الله) إلى أكثر من نصف مليار دولار سنوياً.

---

[72] الخليج الجديد – مجزرة ديالي ميليشيات شيعية تواصل التطهير الطائفي تحت غطاء الحرب على الدولة الإسلامية-

[73] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له- ص69

حركة (أمل) وجماهيرها في جنوبي لبنان، استقبلوا القوات الإسرائيلية الغازية في حرب حزيران1982م بالأوراد والأزهار والسكاكر وحبوب الأرز، وذلك نكاية بالفلسطينيين وحركاتهم المقاومة التي كانت تقيم في لبنان آنذاك! ثم قاموا، بالتواطؤ مع النظام السوري، بالتحريض على طرد المقاومة الفلسطينية من لبنان، وتشتيتها، وإبعاد عمودها الفقري العسكري إلى تونس. ثم بعد ثلاث سنوات، في يوم الاثنين في 1985/05/20م، بدءوا بارتكاب مجازر مخيمي(برج البراجنة) و(صبرا) الفلسطينيين في لبنان، على أيدي حركة(أمل) وأشباهها، وبمدافع اللواء السادس اللبناني ودباباته، والذي كان يتشكل من عناصر(حركة أمل وحزب الله)، فقد حاصروا المخيمات أكثر من شهر كامل، وقتلوا أكثر من ثلاثة آلاف طفل وامرأة وشاب فلسطيني، واضطر سكان المخيمات الفلسطينية أن يطلبوا فتوى شرعية تُجيز لهم أكل لحوم الفئران والجرذان، لأن المحاصرين خلال حصارهم المخيمات، منعوا عنها الطعام والغذاء والدواء والماء والكهرباء.

بعد ذلك، وبالتواطؤ مع قوات النظام السوري الأسدي، قاموا بجرائم تاريخية ضد المخيمات الفلسطينية فعلى سبيل المثال:

تهجير خمسة عشر ألفاً من النازحين الفلسطينيين وتدمير تسعين بالمئة من بيوتهم ومساكنهم، وقتل الجرحى الفلسطينيين بعد الاستيلاء على المستشفيات الفلسطينية(وكالة أسوشيتدبرس)، وذبح الممرضات الفلسطينيات، ونسف الملاجئ التي لجأ إليها مئات النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، وقتل المعاقين(وكالة ريبوبليكا الإيطالية)، واغتصاب النساء الفلسطينيات(25امرأة) أمام أهالي مخيم صبرا(وكالة الأنباء الكويتية في 1985/6/4م)، وبعد ذلك الوقت اشتدت الحملات الإقصائية على أهل السنة في لبنان، بمباركة من قوات النظام السوري.[74]

---

[74] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له- ص80

ثالثا: الأردن وسوريا

أعلنت الأردن في نوفمبر عام 1991م، عن ضبط تنظيم إسلامي سري مسلح باسم جيش محمد، وأشارت إلى أصابع إيرانية وراءه، إلا أن نائب الرئيس الإيراني سرعان ما قام بزيارة لعمان مسلما رسالة للملك حسين من الرئيس رفسنجاني، مؤكدا رغبة إيران في تعزيز العلاقات بين البلدين، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للأردن ..إلا أن عام 1992م جاء بإعلان الأردن اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم ضلع فيها نائبان بالبرلمان وتنظيم إسلامي مسلح. وأشارت السلطات الأردنية من جديد إلى أدلة عن تمويل وتسليح إيرانيين لهذا التنظيم. كما اتهمت تنظيمات إسلامية فلسطينية بالضلوع في هذا المخطط.[75]

وأفاد مصدر قضائي أردني أن السلطات أحبطت أخيراً مخططاً إرهابياً يستهدف المملكة كان سينفذه عراقي يُدعى خالد كاظم الربيعي، منتم إلى " فيلق القدس" الإيراني هذا الفيلق يُعتبر من قوات النخبة في الحرس الثوري الإيراني ومسؤول عن عمليات خارج إيران إقليمياً.[76]

أما في سوريا تخلى النظام السوري عن أشقائه العرب، لاسيما المملكة العربية السعودية ومصر والأردن، ليستقر –من خلال حلف طائفي مريب– في حضن إيران، التي لعبت الورقة السورية ببراعة، دون أن يستطيع النظام الحاكم في دمشق التحرر من الإرادة الإيرانية، وقد عززت سياسات القطيعة التي ينتهجها النظام مع الدول العربية.. عزل سورية عن محيطها العربي دافعة لها أكثر

---

[75] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص86

[76] **إحباط "مخطط إرهابي" في الأردن والمتهم فيلق القدس الإيراني**

www.3alyoum.com

وأكثر في الحضن الإيراني بأبعاده الإستراتيجية والاقتصادية والمذهبية، ما يشكل أكبر خطر على المنطقة، لا سيما الدول العربية المحيطة:

أ/ **من الناحية السياسية الإستراتيجية،** أصبح الموقف السوري تابعاً بشكل مباشر للمشروع الإيراني وأصبحت السياسة الخارجية السورية في السنوات الأخيرة جزءاً من السياسة الإيرانية التي تُرسم في طهران.

ب/**من الناحية الاقتصادية،** يتغلغل الإيرانيون والشيعة العراقيون في مفاصل مهمة للاقتصاد السوري عن طريق الاستثمارات الكبرى (صناعة: السيارات، الإسمنت، الحديد، النقل البحري، والنقل الداخلي) ويرتبط هذا التغلغل الاقتصادي بدوافع مذهبية واضحة، إذ يقوم هؤلاء بشراء العقارات في الأسواق، حول المعالم الرئيسية والهامة، كالمسجد الأموي في دمشق. يساعدهم على ذلك مناخ الفساد الاقتصادي والإداري لمؤسسات النظام ورجاله.[77]

ج/**من الناحية الدينية،** هناك تحركات محمومة إيرانية، بتغطية النظام الحاكم، لتشييع المسلمين السنة الذين يمثلون الأكثرية في سورية، أو لاختراقهم اختراقات مهمة في الأقل، وذلك بقيادة السفير الإيراني بدمشق، وبجهود بعض المرجعيات الشيعية.

د/من الناحية الاجتماعية والديموغرافية، قام النظام الحاكم بمنح الجنسية السورية لأعداد كبيرة من الإيرانيين والعراقيين الشيعة، وبعض المصادر قدرت عدد هؤلاء بعشرات الآلاف، خطوة أولى، وذلك ضمن مخطط واضح لخلخلة التركيبة السكانية ذات الأكثرية الكاثرة السنية، كما تم منح كثير من هؤلاء أراض من أملاك الدولة، وتم عن طريقهم شراء مراكز تجارية هامة وفنادق

---

[77] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له– ص73

ومطاعم وشركات صناعية وتجارية، وهم يمارسون من خلال ذلك دوراً مزدوجاً تجارياً-أمنياً.

إن المشروع الإيراني القومي الديني، بوجود النظام السوري الحاكم حالياً، الذي يغطيه تماماً ويتواطأ مع أصحابه..أصبح خطراً حقيقياً يهدد بنية المجتمع السوري، وهو يثير العديد من المخاطر على مستقبل سورية والبلدان العربية الشقيقة، وذلك بتحويل سورية إلى بقعة ارتكاز لتهديد دول المنطقة كلها، والتغلغل فيها، وإثارة النعرات الطائفية والقومية.[78]

صرح رئيس " مركز عمار الإستراتيجي" لمكافحة الحرب الناعمة ضد إيران مهدي طائب، وهو رجل دين بارز مقرب من مرشد الجمهورية الإسلامية خامنئي، أن سوريا تعتبر المحافظة الـ35 من محافظات الإيرانية، بل إنها أهم في نظره من محافظة الأهواز التي تحتوي على 90% من الاحتياط النفطي الإيراني والسبب أن إيران لو فقدت الأهواز واحتفظت بسوريا فبإمكانها أن تستعيدها لكنها لو خسرت سوريا فلن تستطيع أن تحتفظ بطهران.[79]

باتت جرائم النظام الإيراني في سوريا تزكم الأنوف خاصة بعد افتضاح مؤامرة إيران ومحاولة استنساخ حزب الله السوري، على شاكلة حزب الله لبنان، ليكون قوة تابعة لإيران تتولى تنفيذ المؤامرات والمخططات الإيرانية في أرض الشام.[80]

رابعاً: مصر

منذ انتصار الثورة في إيران، اعتبر قادة إيرانيون الحركة الإسلامية في مصر- وخاصة جناحها الراديكالي- ابنا شرعيا للثورة الإسلامية في إيران، ومن هذا

---

[78] الدكتور محمد بسام يوسف – المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدمته وأخطاره ووسائل التصدي له- ص74.

[79] في معنى أن تكون سوريا محافظة إيرانية http://www.aljazeera.net

[80] مخططات إيرانية لاستنساخ "حزب الله" في سوريا
http://main.islammessage.com/

المنطلق بدأت إيران تتدخل في الشؤون الداخلية لمصر فنجدها تدين وتنتقض وتجيش وسائل الإعلام من أجل زعزعة أمن واستقرار مصر.

أدانت إيران في الثمانينات –وفي عدة مناسبات– ما أسمته تعقب الحكومة المصرية لعناصر الجماعات الإسلامية في مصر، وما ذكرته من اضطهاد لهم. وتحدث رفسنجاني نفسه –عندما كان رئيساً للبرلمان عام 1985 –عن أوجه الشبه بين الحركات الإسلامية بمصر وبدايات الثورة في إيران. كما انتقد آخرون منع مسيرات الإسلاميين، وحرضوا علماء الدين والشباب ضد الحكومة في مصر. كما فتحت إيران صحافتها في عدة مناسبات أمام كتاب من المعارضة الإسلامية – بمن في ذلك بعض من يدعون إلى استخدام العنف– في مصر كما عمدت إيران إلى نفي اتهام البعض للجماعة الإسلامية في مصر بالارتباط بالولايات المتحدة، بينما هاجمت وسائل إعلام إيرانية – في بعض الحالات – الإخوان المسلمين في مصر بصفتهم تابعين للسعودية ومخالفين لفكر حسن البنا. رغم سبق قيام الإخوان بمحاولة وساطة بين إيران والولايات المتحدة إبان أزمة الرهائن الأمريكيين في طهران، ودعت بعض وسائل الإعلامية في بعض المناسبات إلى استخدام العنف ضد الحكومة في مصر. وبالإضافة إلى إعلان الخميني عن ابتهاجه عقب اغتيال الرئيس السادات عام 1981، فقد أشارت سلطات الأمن المصري إلى وجود كتب للخميني بين ما وجد مع من قاموا باغتيال الرئيس الراحل. كما أشارت تقارير إلى اتصالات بين تنظيم الجهاد الذي تبنى عملية الاغتيال وبين إيران.[81]

ورغم تقديم مصر مساعدات ومواد غذائية لإيران في يونيو عام 1990 عقب حدوث زلزال في إيران، وتأييد رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان الإيراني سعيد رجائي خراساني في نوفمبر عام 1991 لعودة العلاقات مع

---

[81] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص87

مصر، خاصة أنه ذكر أن لإيران علاقات مع بقية الأطراف العربية التي حضرت مؤتمر السلام في مدريد، فإن آية الله صادق خلخلي وصحفا إيرانية هاجما هذا التوجه، وساءت العلاقات عام 1992عندما وصفت صحيفة الجمهورية الإسلامية الإيرانية مصر بأنها " شيطان صغيراً " واتهام مصر لإيران في أغسطس عام1992 بالاشتراك في تدريب عناصر تنظيم الجهاد في معسكرات تابعة للجبهة الإسلامية القومية بالسودان. وقامت مصر بسحب رئيس قسم رعاية المصالح المصرية في طهران في 30نوفمبر1992 عقب اتهام وزير الداخلية المصري السابق لإيران بتمويل وتدريب عناصر إسلامية متطرفة. وأعقب ذلك مطالب وزير الخارجية المصري السابق لإيران بعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى.[82]

خامساً: المغرب العربي

فيما يتعلق بتونس، اتهمت الحكومة إيران عدة مرات في النصف الأول من الثمانينات بدعم منظمات " خمينية " في تونس. وفي مرحلة لاحقة أشارت السلطات التونسية إلى أدلة تشير إلى تعاون واتصالات بين حركة الاتجاه الإسلامي– النهضة فيما بعد – بزعامة الأستاذ الغنوشي وبين إيران مما شكل أحد دوافع حظر نشاط الحركة عام 1987 ومنع السماح بإعطاء رخصة رسمية.[83] لعودة النهضة بعد حركة السابع من نوفمبر عام 1987. ولاشك أن النموذج الإيراني أثبت لجماعات إسلامية عديدة في تونس أنها يمكن أن تستخدم العنف في مواجهة الحكومة وتنجح في إسقاطها. إلا أن العلاقات الدبلوماسية عادت بين إيران وتونس في سبتمبر عام 1990 بعد قبول الحكومة التونسية وساطات لتحسين هذه العلاقات. كما شهدت المرحلة الأخيرة تبادل

---

[82] المرجع نفسه ص88

[83] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص89

زيارات لكبار مسئولي وزارتي الخارجية في الدولتين، إلا أن بعض المصادر أشارت إلى اتصالات تجريها إيران مع رجال أعمال شيعة في الخليج لإجراء استثمارات في تونس والمغرب بهدف دعم الحركات الإسلامية الراديكالية في المغرب العربي ودول أفريقيا لإسلامية.[84]

وقد **تدهورت العلاقات الإيرانية الجزائرية نتيجة اتهام الجزائر لإيران** بدعم الجبهة الإسلامية للإنقاذ. وقد فشلت محاولات تطبيع العلاقات بين البلدين عام 1991 وانتهى الأمر بقطع الجزائر علاقاتها مع إيران عام 1993 بناء على أدلة أشارت إلى تدخل إيران في شؤن الجزائر الداخلية ودعمها لجماعات إسلامية تمارس العنف السياسي عقب فرض حالة الطوارئ وإدانة الصحافة الإيرانية لما أسمته إجهاض انتصار الإسلاميين في الانتخابات البرلمانية بالجزائر. وكان قد سبق ذلك إعلان وزير خارجية الجزائر في يناير عام 1992 أن بيانات وتوجيهات إيران تعتبر غير مقبولة بشأن الموقف في الجزائر وسحبت سفيرها من طهران في نوفمبر عام 1992 وطالبت سفير إيران في الجزائر بالعودة إلى بلاده رداً على مهاجمة إيران للحكم في الجزائر ومؤسساته الرسمية، وقد واصلت الجزائر اتهام إيران بتدوير مساعدات مالية ضخمة للحركات الإسلامية الراديكالية في الجزائر وتونس والسودان خاصة عقب استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد. كما شنت الصحافة الجزائرية منذ عام 1992 حملة مكثفة ضد ما أسمته بمؤامرة النخبة الثيوقراطية في طهران، واتهمتها بالعمل لزعزعة الاستقرار والاستيلاء- بواسطة عناصر موالية لطهران – على السلطة في الجزائر ثم تكرار نفس الأسلوب في بقية دول المغرب العربي، واعتبرت الهدف الرئيسي للخطة الإيرانية دعم النفوذ الشيعي ليس فقط في المغرب العربي بل في كامل الوطنين العربي والإسلامي. كما اتهمت

---

[84] المرجع نفسه ص90

الصحافة الجزائرية قيادات شيعية إيرانية دينية بتدبير اجتماعات في بعض المساجد المشرق العربي تجمع عناصر إسلامية متطرفة في لبنان والسعودية والبحرين والسودان والعراق وسوريا.

ورغم اتهام إيران للجبهة الإسلامية للإنقاذ في مرحلة سابقة بتأييد الأفكار الوهابية، إلا أنها ليست بعيدة عن الحركة الإسلامية بالجزائر وتقديم الدعم والنصيحة إلى بعض فصائلها. كما اعتبرت إيران نجاح إقامة جمهورية إسلامية في الجزائر نموذجاً سيتبع بواسطة بقية دول المغرب العربي، بل ودول جنوب الصحراء مثل مالي والسنغال والنيجر. كما اعتبرت بعض المراجع الدينية الإيرانية هزيمة الحركة الإسلامية في[85] الجزائر هزيمة لإيران وقد أدانت إيران الانتخابات الرئاسية في الجزائر عام 1995 وما تمخضت عنه من انتخاب الرئيس الأمين زروال بحجة أنها استبعدت الحركة الإسلامية في البلدان العربية للتركيز على كون المشروع الإسلامي وحده هو القادر على حل مشكلات المجتمع.[86]

أما في موريتانيا بعد أن قُطعت العلاقة الإيرانية الموريتانية بعد اتهام موريتانيا لإيران بالتدخل في شؤونها الداخلية فقد عادت العلاقات سنة 1990 ولكن سرعان ما دعا النائب البرلماني المحامي محمد أحمد سالم، الرئيس الموريتاني محمد ولد عبد العزيز إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران لأن ذلك سيحافظ على أمن واستقرار ووحدة موريتانيا، ولقطع الطريق أمام ما أسماه سعي إيران لنشر لتشيع في مجتمع موحد حول المذهب المالكي السني.

---

[85] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص90

[86] المرجع نفسه ص91

وأشار إلى أن إيران تريد أن تجعل من موريتانيا بوابة لنشر التشيع في إفريقيا، وقاعدة خلفية لاختراق المغرب الأقصى الذي قطع علاقاته معها منذ عدة سنوات.

وتحدث البرلماني الموريتاني عما وصفه محاولات إيرانية لاختراق الساسة الموريتانيين. وقال: نعم إن سفارة الاحتلال الإيراني في نواكشوط تعمل جاهدة على التغلغل في المجتمع الموريتاني وبناء علاقات مع الطبقة السياسية وإغراقها بعلاقات التمويل للعمل السياسي.[87]

هذا الذي يخشاه البرلماني الموريتاني –محمد أحمد سالم– قد وقع فعلاً في السودان بعد أن سلم قائدهم وزعيمهم عمر البشير السودان لإيران على طبق من ذهب مقابل سُرة من الدنانير ونفايات السلاح وليس سلاح، وعلب البسكويت والشاي التي لاتسمن ولا تغني من جوع، وحتى لا يكون كلامي إنشاء سألج الموضوع من أوسع أبوابه.

سادساً: السودان

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من اتصالات وتعاون وثيق بين الثورة الإيرانية والجبهة الإسلامية القومية في السودان، وتقارير أشارت إلى تعاونهما في تدريب وتلقين عناصر تابعة لتنظيمات إسلامية راديكالية في بلدان إسلامية أخرى، فمن المؤكد أن وجود الإيراني في السودان قد تزايد منذ تولي الرئيس البشير مقاليد السلطة هناك، وقد شهدت زيارة الرئيس رفسنجاني للخرطوم عام 1991 توسيعها لهذا التعاون الذي شمل مجالات دفاعية وأمنية، وإنشاء مكتب لوزارة جهاد البناء الإيراني في الخرطوم، بالإضافة إلى فتح قنصلية إيرانية في بور سودان على البحر الأحمر. وقد أشار مراقبون إلى أن تزايد الوجود الإيراني في السودان كان له تأثير مباشر على دعم الحركات الإسلامية المسلحة في

---

[87] صحراء ميديا – موريتانيا : برلماني يدعو إلى قطع العلاقة مع إيران
http://www.saharamedias.net/

الصومال، خاصة حركة الجهاد الإسلامي هناك، وفي بلدان أفريقية أخرى بها جاليات مسلمة كبيرة الحجم باعتبار السودان نافذة إيران على أفريقيا المسلمة.[88]
غير أننا نود أن نشير إلى نقطة هامة على القارئ التنبه لها وهي أن التعاون الذي حظيت به السودان وزعيمها البشير لم يكن دون مقابل، وقد يتساءل الكثير عن المقابل الذي قدمته السودان لإيران من أجل هذه الصفقة ؟؟ سمح نظام البشير ومن والاه في السودان لإيران بالغوص في أعماق السودان الذي أنهكته الحروب الداخلية، فعملت إيران بكل ما أوتيت من قوة وخبث على التغلغل في المجتمع السوداني وتفتيت ما استعصى على البشير وأزلامه وزرع الفتنة بين مكوناته، فتجلى هذا التغلغل في ثلاثة أقسام:

1/المظاهر الدينية والثقافية:

1- تقديم المنح الدراسية للطلاب من السودان للدراسة في إيران وتشييعهم.

2- تشيع بعض الكتاب والصحافيين وتقديم الوظائف لهم سواء في السفارة أو في المراكز التابعة لها.

3- إنشاء جمعية الصداقة السودانية الإيرانية والتي تتبع السفارة الإيرانية مباشرة.

4- نشر المركز الثقافي الإيراني في الخرطوم لكثير من مواد التشييع كتباً كانت أو ندوات وكفالة داعية التشييع.

5- إقامة مراسم العزاء والاحتفالات الدينية الشيعية ودعوة العشرات من مشايخ الطرق الصوفية لها وتقديم الهدايا والدعوات لزيارة إيران.

6- تغلغل التشيع في جامعة إفريقيا العالمية والتي كانت منبعاً لكثير من الدعوات السنية في القارة الإفريقية.

---

[88] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص89

7- إنشاء المركز الثقافي الإيراني في أم درمان ودعم نشاطاته في الدعوة للتشيع.

8- إنشاء معهد الإمام جعفر الصادق الثانوي للعلوم القرآنية والدينية بحي العمارات: محافظة الخرطوم وهو يعتبر من أخطر مراكز التشييع في السودان.

9- توثيق العلاقة مع شيوخ الصوفية خصوصاً من يدعي منهم أنه من آل البيت والتظاهر بأنهم جميعاً مجتمعون على حب آل البيت والوصول إلى مريدي هؤلاء الشيوخ وإلقاء المحاضرات عليهم في مساجدهم وأماكن تجمعاتهم.

10- استيعاب أكبر عدد ممكن من الموظفين في مراكز الشيعة والمعاهد التابعة لهم والتأثير عليهم.

11- إنشاء مراكز ثقافية وعلمية واقتصادية مختلفة منها:

أ-المراكز الثقافية:

1/ المركز الثقافي الإيراني في الخرطوم.

2/ المركز الثقافي في أم درمان.[89]

ب- المكتبات العامة:

1/ مكتبة المركز الثقافي الإيراني في الخرطوم

2/ مكتبة المركز الثقافي في أم درمان.

3/ مكتبة الكوثر بحي السجانة وسط الخرطوم.

4/ مكتبة فاطمة الزهراء بحي العمارات وسط الخرطوم.

5/ مكتبة مدرسة الجيل الإسلامي بحي مايو.

6/ مكتبة معهد الإمام جعفر الصادق بحي العمارات وسط الخرطوم.

ج- المؤسسات التعليمية:

---

[89] مركز التنوير للدراسات الإنسانية، مظاهر تغلغل الإيراني الشيعي في البلدان السنية. www.altanweer.net

1/ مدرسة الإمام علي بن أبي طالب الثانوية للبنين بمنطقة لحاج يوسف في محافظة شرق النيل.

2/ مدرسة الجيل الإسلامي لمرحلة الأساس بنين بمنطقة مايو في محافظة الخرطوم.

3/ مدرسة فاطمة الزهراء لمرحلة الأساس للبنات بمنطقة مايو في محافظة الخرطوم.

4/ معهد الإمام علي العلمي الثانوي للقراءات بمنطقة الفتيحاب في محافظة أم درمان.

5/ معهد الإمام جعفر الصادق الثانوي للعلوم القرآنية والدينية بحي العمارات محافظة الخرطوم.

د- الجمعيات والروابط والمنظمات:

1/ رابطة أصدقاء المركز الثقافي الإيراني.

2/ رابطة الثقلين.

3/ رابطة آل البيت.

4/ رابطة المودة.

5/ رابطة الظهير.

6/ رابطة الزهراء.

7/ جمعية الصداقة السودانية الإيرانية.

8/ منظمة طيبة الإسلامية.

و- مؤسسات اقتصادية ومشاريع استثمارية:

1/شركة إيران غاز.[90]

2/المظاهر الاقتصادية:

---

[90] مركز التنوير للدارسات الإنسانية، مظاهر تغلغل الإيراني الشيعي في البلدان السنية. www.altanweer.net

1/ وجود الشركات الإيرانية في السودان وبكثرة مثل شركة إيران غاز التي يعمل فيها الآلف ولها فروع في أهم مناطق السودان ولا تعطي التوكيل إلا لمن كان شيعياً أو قريب من التشيع وتقام فيها كل مظاهر
التشييع.

2/ تعتبر إيران لاعباً قوياً في استخراج والتنقيب عن النفط والغاز في السودان وما يتبع ذلك من نشاطات اقتصادية إيرانية منطلقين من القاعدة التي تقول الأهداف السياسية والاقتصادية في خدمة نشر المذهب الشيعي.

3/المظاهر السياسية:

1/ إنشاء إيران المجلس الأعلى لشؤون أفريقيا يهتم بهذه المنطقة وغيرها.

2/ نشاط السفارة الإيرانية في تحسين العلاقات الإيرانية السودانية، وبنائها ورعايتها للمراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

3/ صدور بيان حاد من المجلس الأعلى لتنسيق بين الجماعات الإسلامية السنية 2006/12/17، يحذر من الغزو الشيعي للسودان.

4/ تصريح إبراهيم الأنصاري المستشار الثقافي لسفارة إيران بالخرطوم الذي حاورته صحيفة " الوطن" العلمانية عن وجود شيعة أو تشيع في السودان، أجاب بنعم وفصل في ذلك.[91]

إن اقتصارنا على ذكر مظاهر التغلغل الإيراني في السودان لا يعني أن البلدان الإسلامية لا تعاني من هذا الوباء، وإنما اكتفينا بذكر مظاهر التغلغل الإيراني في السودان حتى نوضح أن إيران الدولة الصفوية لن تعطيك شيء من دون أن تأخذ منك أشياء ، أولها الاستقرار والوحدة بين أبناء الشعب الواحد، فهي تتصب نفسها وصية عن كل شيعي وعن كل عتبة من عتبات الشيعة فحتماً

---

[91] مركز التنوير للدارسات الإنسانية، مظاهر تغلغل الإيراني الشيعي في البلدان السنية www.altanweer.net

سيكون ولاء الشيعة في كل شبر من الأرض لإيران التي تستغلهم باسم الدين لتحقيق مآربها.

سابعاً: الدول الإسلامية غير العربية

1/أفغانستان: ترجع العلاقات الإيرانية- الأفغانية إلى عقود طويلة بحكم الجوار والمصالح المشتركة ولكن من الأهمية بما كان التعرف على طبيعة تلك العلاقات مع بدء الاحتلال السوفييتي لأفغانستان حيث كانت إيران طرف أساسي في دعم الجهاد الأفغاني{حزب الوحدة الإسلامية الشيعي}[92] ضد القوات السوفييتية، حيث أستمر ذلك الدعم بعد الانسحاب السوفياتي في فبراير عام1989 ولكن مع استبعاد إيران من ترتيبات الحكم في أفغانستان- أي لم تحقق ما كانت ترمي إليه- عارضت إيران حكومة المجاهدين الانتقالية -ذات الأغلبية السنية- التي تشكلت في 24فبراير 1989برئاسة صبغة الله مجددي ودفعها هذا إلى التقارب مع نظام نجيب الله في كابول وأقامت معه علاقات جيدة توجت باستقبال نجيب الله في مدينة مشهد الإيرانية في نوفمبر 1990، ومع سقوط نجيب الله أمام هجمات المجاهدين ثم نشوب الحرب الأهلية نتيجة الخلافات بين الفصائل الأفغانية حول السلطة، وجدت إيران نفسها منخرطة في تلك الصراعات، حيث عملت على دعم الشيعة وتأييدهم في مواجهة الفصائل الأخرى.[93]

2/تركيا: وفي تركيا، اتهمت الحكومة هناك إيران عدة مرات بتمويل تنظيمات سرية تعمل على الإطاحة بالحكم هناك، وإنشاء دولة إسلامية مثلما حدث في مارس عام 1983. كما اتهمت تركيا إيران بدعم أعمال المقاومة هناك ضد قرار حظر الحجاب في الجامعات وأماكن العمل. ورغم إحياء منظمة التعاون

---

[92] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص91

[93] معهد العربية للدراسات، التمدد الإيراني في أفغانستان..مابين الانسحاب الأمريكي والبدائل المتاحة.

الاقتصادي بين باكستان وتركيا وإيران والتقارب الإيراني /التركي، فإن السلطات التركية اتهمت إيران بكونها تقف خلف عمليات الاغتيال التي طالت خلال الشهور الأخيرة عدداً من الكتاب والصحفيين العلمانيين واليساريين الأتراك، بالإضافة إلى شكوك تركية بشأن دعم إيران لحزب العمال الكردستاني اليساري والانفصالي والذي يقوم بعمليات مسلحة داخل تركيا، خاصة في جنوبها الشرقي.[94]

ومنذ وجود الاتحاد السوفياتي، حرصت إيران على توجيه إرسال إذاعي لمسلمي الاتحاد السوفياتي، ثم تبع ذلك عقب سقوط وتفكك الاتحاد السوفياتي–إقامة معسكرات للاجئين الطاجيكين، ونظمت تياراً موالياً لها دعمته في مواجهة سلطة الرئيس كريموف الذي اتهمته بمواصلة الخط الشيوعي. وقد اتهمت حكومة طاجكستان إيران بالوقوف خلف محاولة الانقلاب الفاشلة التي قام بها الإسلاميون هناك. إلا أن إيران شاركت بعد ذلك في جهود الأمم المتحدة للوساطة بين الحكومة والمعارضة هناك. وفي أذربيجان. حرصت إيران على حشد المعارضة ضد الجبهة الشعبية الحاكمة هناك –والمدعومة من تركيا–منذ عام 1992.

بينما شهدت الثمانينات اتهام السنغال، وكوت ديفوار، وكينيا، لإيران بالتدخل في الشئون الداخلية لهذه الدول، وقطعها علاقاتها مع إيران.[95]

سمعت من عرب كثيرين، وخاصة الذين يتضامنون مع إيران مذهبياً بأن لا مانع لديهم أن تأتي إيران لتحكمهم، وتنهض ببلدانهم بعد أن حولها الطغاة إلى دول فاشلة على الأصعدة " أهلاً بإيران "، يقول أحدهم، لو أنها ستفعل لنا ما فعلته أمريكا لليابان بعد ضربها بالقنبلة النووية. لكن تدخلها كان حميداً للغاية.

---

[94] الدكتور وليد عبد الناصر – إيران دراسة عن الثورة والدولة –ص91 .

[95] المرجع نفسه ص92 .

فقد ساهمت أمريكا في نهضة اليابان الصناعية والاقتصادية، لا بل وضعت لها القوانين التي تنظم مختلف جوانب الحياة.[96]

ولا ينكر فضل أمريكا على اليابان بعد منتصف القرن الماضي إلا جاحد. هل إيران مستعدة لتفعل للبلدان التي وضعت يدها عليها كما فعلت أمريكا لليابان؟ على ضوء مانراه في العراق مثلاً منذ أكثر من عشر سنوات، لم نلحظ أبداً أن إيران تريد الخير للعراق بقدر ما تريده بلداً محطماً مهشماً ضعيفاً متناحراً ليبقى لعبة في يديها ومجرد حديقة خلفية لها بعد أن كان في عهد الرئيس الراحل صدام حسين شوكة في خاصرتها وتهديداً عسكرياً واستراتيجياً لها.

لا شك أن الاحتلال الأمريكي فعل الأفاعيل بالعراق، وكاد أن يعيده إلى العصر الحجري، كما توعد وزير الدفاع الأمريكي الأسبق رامسفيلد ذات يوم. لكن ماذا فعلت إيران حتى لأزلامها من العراقيين الشيعة؟ صحيح أنها ساعدتهم في الوصول إلى السلطة والاحتفاظ بها. لكن في الوقت نفسه وضعتهم في مواجهة مذهبية طاحنة مع السُنة، بحيث لم يمر أسبوع على العراق منذ سنوات إلا وتشهد البلاد أعمال عنف طائفية رهيبة تفسد الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى الآن، وتجعل من العراق دولة فاشلة بامتياز.

تصوروا أن العراقيين حتى الآن لا يجدون الماء النظيف أو الكهرباء أو حتى الوقود. بينما يعوم العراق على بحر من النفط. ماذا فعلت إيران للعراقيين لتساعدهم للخروج من محنتهم؟ لاشيء يذكر سوى تكريس الصراع المذهبي والطائفي كي تعيش على تناقضات العراقيين المذهبية والعرقية. إنه تصرف استعماري مفضوح. ولا تلوم إيران إلا نفسها عندما تبدأ الجماعات السُنة

---

[96] الدكتور فيصل القاسم – هل دخلت إيران بلداً عربياً إلا وكان مصيره الخراب والضياع؟ – جريدة القدس العربي .

المتطرفة بإزعاجها وإزعاج بيادقها في العراق. فلا يمكن لأي شعب أن يستقبل مستعمراً بالرياحين والورود.

ولو نظرنا إلى سوريا لوجدنا أن السيناريو الإيراني في العراق يتكرر هنا بحذافيره. لقد تحولت سوريا بسبب التدخل الإيراني وغير الإيراني إلى ساحة للصراع المذهبي والطائفي البغيض. وبسبب التغول الإيراني في سوريا يتدفق على هذا البلد المنكوب عشرات الجماعات السنية المتطرفة لمحاربة ما تسميه الاستعمار الصفوي. ولو زرت دمشق هذه الأيام لوجدت أنها تحولت إلى مستعمرة إيرانية مفضوحة. ويقال إن أكثر من أربعين بالمائة من المدينة اشترته إيران لتحوله إلى ما يشبه دويلتها في لبنان.

والبعض يتحدث الآن عن ضاحية جنوبية في جنوب دمشق على طراز ضاحية حزب الله في بيروت. لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتوقع الخير لسوريا تحت السيطرة الإيرانية على هذا الحال. والمثال العراقي أمامنا يصدمنا كل يوم. وكما أن العراق سيبقى ساحة للاحتراب المذهبي والطائفي لزمن طويل طالما إيران موجودة هناك، سيكون الوضع في سوريا ربما أسوأ، خاصة وأن أكثر من تسعين بالمائة من السوريين لا يوالون إيران مذهبياً.

وبالتالي، سيكون الصراع في سوريا ضد إيران أكثر حدة، خاصة وأن كثير من المسلمين السنة يعتبرون[97] إيران عدواً مذهبياً صارخاً.

وليس بعيداً عن سوريا، هل استقر وضع لبنان يوماً بوجود دويلة إيرانية داخل الدولة اللبنانية؟ صحيح أن لبنان بلد يتصارع طائفياً منذ نشأته، لكن هل أصبح أفضل حالاً بعد استفحال النفوذ الإيراني فيه؟ بالطبع لا، لا بل إن يتهم إيران

---

[97] الدكتور فيصل القاسم – هل دخلت إيران بلداً عربياً إلا وكان مصيره الخراب والضياع؟ – جريدة القدس العربي .

وجماعتها في لبنان بأنهم قضوا على رفيق الحريري لأنه كان يحمل مشروعاً عربياً يهدد النفوذ الإيراني في لبنان.

والآن في اليمن: ألم يزدد وضع البلد سوءاً بعد سيطرة أنصار إيران على البلاد؟ ألم يصبح اليمن على كف عفريت؟ ألم يصبح نسخة طبق الأصل عن العراق؟ فكما أن إيران لعبت على التناقضات المذهبية في العراق، وحولته إلى ساحة أخرى للتناحر المذهبي بسبب إيران تحديداً. فكما أن داعش تحارب جماعة إيران في العراق، فإن القاعدة وأخواتها في اليمن سيتصدرن بشراسة للحوثيين أزلام إيران في اليمن ليتحول اليمن إلى محرقة مذهبية بامتياز.

لاتهمنا شعارات إيران، بل يهمنا ما آلت إليه بلداننا بسبب التدخل الإيراني الذي زاد الطين بلة، بدل أن يساعدنا في الخروج من المستنقع. من المضحك أن إيران تتظاهر بحماية الشيعة العرب، بينما في الواقع تخوض معاركها الاستعمارية للسيطرة على المنطقة بأشلائهم في العراق ولبنان وسوريا واليمن.

صحيح أن قوى إقليمية وعربية أخرى عبثت، وتعبث بالعراق وسوريا ولبنان واليمن، لكن الناس عادة توجه اللوم للقوة الأكثر نفوذا وسيطرة في تلك البلدان، ألا وهي إيران. سؤال للجميع ماذا جنى العراق وسوريا ولبنان واليمن من التدخل الإيراني غير الخراب والدمار والانهيار والضياع، وربما قريباً التشرذم والتفكك على أسس مذهبية وطائفية وعرقية قاتلة؟[98]

هذه هي صورة إيران من الخارج فصورتها في الداخل لا تقل سواداً عن الخارج، وسنعمل جاهدين ما استطعنا على الوقوف ولو قليلاً على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي السائد في إيران التي تروج لنفسها أنها دولة متقدمة

---

[98] الدكتور فيصل القاسم – هل دخلت إيران بلداً عربياً إلا وكان مصيره الخراب والضياع؟ – جريدة القدس العربي .

نشر المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية(لجنة الشؤون الخارجية) مقالاً لـ علي ساجت الفتلاوي المعنون بـ" هذا انجازهم بعد 35 عاما من الحكم " التالي:

طوال الأعوام المنصرمة، ظلت الأبواق الإعلامية لطهران تطبل وتزمر لإنجازات هذا النظام وكيف أنه صار نظاما مكتفياً ذاتيا ويقترب من تحقيق المعجزة الاقتصادية خصوصا عندما بدأ المرشد الأعلى للنظام نفسه يركز على ما سماه بـ " الاقتصاد المقاوم "، وأن نظامه سوف ينتصر على المعوقات والعراقيل ويحقق الطفرة الاقتصادية(وليس القفزة) لبلاده، وبعد أن استلم روحاني مهام منصبه كرئيس للجمهورية فقد منوا الشعب الإيراني بأن إصلاحاته سوف تحقق الكثير من أجل الأوضاع المختلفة في البلاد و تدفعه للأمام غير إن الذي حدث أنه وبعد كل التي واللتيا، فوجئ العالم بتحذير 4 وزراء لروحاني من مغبة انهيار الاقتصاد المتهالك نظرا لهبوط قيمة سوق الرأسمال في البلاد خلال الأشهر الأخيرة.

وزير الاقتصاد علي طيب نيا ووزير الصناعة محمد رضا نعمت زادة ووزير العمل حسن ربيعي ووزير الدفاع حسين دهقان، قالوا في رسالتهم الموجهة لروحاني أن" قيمة سوق الاستثمار في إيران انخفضت بنسبة 42% خلال 19 شهرا مضت"، وأكدوا على أنه " إذا لم يتم اتخاذ إجراءات عاجلة، ستسقط بورصة طهران خلال الأسابيع القادمة بمؤشر بمقدار 1000 حتى 1500 وحدة"، وكمثال على وخامة الأوضاع الاقتصادية قالوا بشأن صناعة السيارات إن " عملية البيع لمنتجات شركات السيارات تواجه مشاكل كثيرة وهناك أكثر من100 ألف سيارة مكدسة في المصانع"، وبطبيعة الكلام فإن ما قد جاء بهذه الرسالة يبين بوضوح مدى جدية هذا التحذير على النظام و مستقبله.

نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية الذي جعل كل همه في قمع الشعب الإيراني والقوى الوطنية المعارضة له ولاسيما منظمة مجاهدي خلق، فإنه خصص جانب كبير من الاقتصاد لأعمال القمع والمؤسسات القمعية كما أنه

صرف جانبا كبيرا من أموال الشعب الإيراني على تدخلاته السافرة في شؤون بلدان المنطقة بالإضافة إلى صرفه ما يعادل كلفة الحرب مع العراق بثمانية أضعاف على البرنامج النووي، لكنه وفي مقابل ذلك لم يهتم لتطوير الأوضاع الاقتصادية و تحسين الأوضاع المعيشية للشعب وتحقيق الرخاء والرفاه له، وقطعا إن نظام هكذا هو حاله ودأبه لابد له من أن يغرق في شر أعماله و يحصد نتاج خيبته.[99]

ويضيف ذات المجلس مقالاً أخر نشر في وكالة سولا برس لـ يحيى حميد صابر تحت عنوان " روحاني الذي ما زاد في النظام خردلة " عن تردي الأوضاع الداخلية لإيران ومعانات المواطن الإيراني فكان فحواه على النحو التالي:

عندما كان المجتمع الدولي منهمكا ومشغولا بشعارات وأطروحات الرئيس الإيراني الجديد حسن روحاني وعقد البعض عليها الآمال، كانت المقاومة الإيرانية لوحدها من تصدت لروحاني وأكدت في بيانات وتصريحات ومواقف مختلفة في مناسبات متباينة من أنه امتداد للنظام وأن شعارات الإصلاح والاعتدال ولئن لم يستمع العالم وينصت في بداية الأمر لما قد صدر عن المقاومة الإيرانية بشأن كذب وزيف الإصلاح والاعتدال المزعومين لروحاني، لكن في نهاية الأمر تبين وتوضح للعالم حقيقة الأمر ولذلك فإن المقاومة الإيرانية صارت مصدرا ومرجعا أساسيا للعالم فيما يتعلق بهذا الخصوص.

المقاومة الإيرانية التي كثفت جهودها ومساعيها خلال الأشهر الأخيرة بصورة خاصة من أجل فضح وكشف كل الأمور السلبية والمخططات والمواقف المشبوهة المتعلقة بنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية فإنها ومن أجل كشف وفضح وتعرية روحاني ومزاعمه الواهية، قد عقدت ندوة مستفيضة عبر

---

[99] علي ساجت الفتلاوي- http://www.ncr-iran.org

الانترنت يوم الاثنين الماضي 5 تشرين الأول/ اكتوبر2015، شارك فيها كل من السيد جمال العواضي رئيس المركز الوطني لحقوق الإنسان في اليمن والسيد كمال حساني المحامي العراقي ونائب رئيس مركز البحوث والدراسات القانونية والقضائية في العراق ود. سنابرق زاهدي من المقاومة الإيرانية.

خلال هذه الندوة تم فضح وتعرية مزاعم الإصلاح والاعتدال التي يدعيها روحاني بالأدلة والمستمسكات و مجريات الأمور على أرض الواقع، حيث تساءل بهذا الصدد د.زاهدي هل كان روحاني صادقا في طرحه شعار «الاعتدال» و«الوسطية » و«الانفتاح» على العالم، أم أنه كان نسخة أخرى من كتاب ولاية الفقيه؟ ولفهم الحقيقة لنذهب إلى واقع ما جرى ويجري داخل إيران وخارجها ونسأل: هل الظروف الاقتصادية للشعب الإيراني تحسنت خلال رئاسة روحاني؟ وهل تدنّى مستوى الفقر والجريمة؟ وماذا صار بشأن غلاء الأسعار والتضخم؟ وماذا كانت حصيلة عمل حكومة روحاني على صعيد البيئة؟ هذه الأسئلة المهمة والحساسة التي تدور في مخيلة كل إنسان لبيب متتبع للأوضاع في داخل إيران وخصوصا فيما يتعلق بمزاعم روحاني، وقد أجاب د.زاهدي على الأسئلة تلك قائلا:" جميع هذه المؤشرات وغيرها تقول أن الظروف المعيشية والاقتصادية تدنت بكثير عما كانت سابقا. لكن هناك مجالان قد فاز فيهما روحاني أكثر من سوالفه وهما القمع وتصدير الإرهاب.

فالواقع يقول أن عدد الإعدامات في عهد روحاني تجاوز ألفي حالة إعدام وهذا يعادل تقريبا ضعفي ما كان في عهد أحمدي نجاد. جميع الهيئات الدولية المدافعة عن حقوق الإنسان أعربت عن قلقها واستنكارها لفورة الإعدامات في إيران في عهد روحاني. علي سبيل المثال أصدرت منظمة العفو الدولية تقريرا لها في 23 تموز من هذا العام بعنوان « فورة الإعدامات " المذهلة": تنفيذ حكم الإعدام فيما يقرب من 700 في أكثر من ستة أشهر بقليل».

والإعدام هو المؤشر الأول للقمع، حيث إيران خامنئي وروحاني أصبحت البلد الأول في هذا المجال. وهناك حقائق أخرى: يدخل ستمائة ألف شخص السجن في كل عام، و70% من العمال الإيرانيين يعيشون.[100] تحت خط الفقر وأعلن علي لاريجاني أن حوالي 50% من خرجي الجامعات عاطلين عن العمل، وأعلنت مؤسسة غالوب في تقريرها لعام 2015 أن العراقيين هم أول شعب يعانون من الكآبة في العالم يليهم الإيرانيون. وهناك مئات من هذه الحقائق التي تشير بوضوح مدى فشل حكومة روحاني في حل المشاكل المستعصية لأبناء الشعب الإيراني."، والحقيقة إن التمعن فيما قد أوضحه هذا المعارض الإيراني البارز والمعروف، فإنه يتضح بأن شعارات ومزاعم روحاني بشأن الاعتدال والإصلاح والوسطية ليست إلا كذبة مفضوحة ليس لها أي أساس من الصحة.
وبضيف أيضاً نقلاً عن وكالة سولا برس مقال أخر تحت عنوان " مع مجاعة 15 مليون مواطن" لـ عبد الله اللامي.
تزايد الفقر والحرمان في إيران في ظل نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية ويرافق ذلك بروز مظاهر لم تكن مألوفة من قبل في الشارع الإيراني نظير المجاعة التي يواجهها أكثر من 15 مليون مواطن إيراني والنوم في بيوت من الكارتونات وانتشار البطالة والإدمان وتفشي الجريمة والانحلال الأسري والتفكك الاجتماعي، وكل ذلك يجري وقادة ومسؤولوا النظام يتصرفون وكأن الأمور كلها طبيعية ويباهون بنظامهم العالم كله! الشعب الإيراني الذي لم يرى من هذا النظام سوى القمع والفقر والاضطهاد والحرمان والقتل والإعدامات.

[100] يحيى حميد صابر – روحاني الذي ما زاد في النظام خردلة– –http://www.ncr /iran.org

ولا يبدو أبدا أن النظام يمتلك أية طريقة أو وسيلة لتحسين الأوضاع خصوصا بعد أن أعلن العديد من مسؤولي النظام من أن الاتفاق النووي ليس من شأنه تحسين الأوضاع الاقتصادية في البلاد، وهو ما يثبت مصداقية ما قد أعلنت المقاومة الإيرانية عنه سابقا ولمرات عديدة من أن المشاكل والأزمات التي يعاني منها الشعب الإيراني لا يمكن لهذا النظام أن يحلها ويعالجها أبدا إنه نظام استبدادي قمعي ظلامي مبني على أساس معاداة الشعب والقيم الإنسانية وإن الطريق الوحيد لحل ومعالجة أزمات ومشاكل الشعب الإيراني وكذلك إنهاء تصدير التطرف والإرهاب لدول المنطقة يكمن فقط في إسقاط هذا النظام وتغييره.[101]

قد يقال أنه كلام المعارضة وأن المعارضة تضخم في بعض الحوادث وتسعى إلى تشويه صورة النظام بشتى الطرق، فنقول لهم إن الذي كشف أسرار البرنامج النووي الإيراني، هو المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية حيث فجر قنبلة من العيار الثقيل كشفت عن قيام إيران ببناء منشأتين نوويتين سريتين في منطقتي " آراك " و " نطنز" لتخصيب اليورانيوم بعيدا عن مرأى ومسمع العالم والوكالة الدولية.

[101] عبد الله اللامي http://www.ncr-iran.org/

الفصل الثاني

العلاقات العربية الإسرائيلية

في سنة 1948 ظهرت إسرائيل إلى العلن بعد ما كانت في سر حبر على الورق، وكان العرب يومها يتنافسون على اقتناء الغواني وشرب أجود أنواع الخمور وهاهم اليوم لا يزالون في سكرتهم يعمهون، نحن لن نبحث في سبب ظهورها على أرض فلسطين لقد ظهرت وانتهى الأمر، لأن هذه القضية أثيرة أكثر من مرة ولكن من دون جذوة بل وصل فيها النقاش إلى حد الاتهام بالتواطؤ والعمالة، مع أني أرى أن الكل متهم ومن دون استثناء فلولا تقصيرهم وإهمالهم في بقعة كالمسجد الأقصى لما حدث الذي حدث، وإنما سنكتفي بتتبع تاريخ العلاقات الإسرائيلية العربية وسنعمل على تتبعها كما تتبعنا العلاقات الإيرانية العربية من قبل ولتكن البداية مع ما يسمونه بالصراع العربي.

الجولة الأولى:(1367هـ-1948م)

حرب 1948م، يسميها اليهود " حرب الاستقلال " ويسميها العرب " حرب النكبة "، وقد انتهت هذه الحرب إلى نتيجة مذهلة؛ إذ تعرضت سبعة جيوش تابعة لسبع دول عربية إلى هزيمة منكرة، لا نقول أمام جيش واحد لدولة واحدة، ولكن أمام عدد من المنظمات اليهودية شبه عسكرية، وهي تلك التي وُحدت بعد ذلك تحت اسم (جيش الدفاع الإسرائيلي)[102].

الجولة الثانية:(1375هـ-1956م)

جاءت الجولة الثانية بعد أن آلت السلطة في بعض الدول العربية إلى أنظمة ثورية، دعت نفسها بالتقدمية، لتزيل العار الذي جلبته الأنظمة الرجعية وكان النظام الثوري العسكري في مصر هو المتزعم لها، وقد عد من أهدافه الرئيسية المعلنة: تحرير فلسطين والقضاء على دولة إسرائيل، وجعل من هذا الهدف –

---

[102] د. عبد العزيز مصطفى كامل – العلمانيون وفلسطين ستون عاما من الفشل وماذا بعد؟- ص15

إلى جانب توحيد العرب تحت راية القومية العربية– قضية يبني بها المجد والزعامة.

–كان أول قرار قام به قائد الثورة جمال عبد الناصر بعد تسلمه منصب الرئاسة رسمياً؛هو تأميم قناة السويس في 26 تموز(يوليو)1956م، وكان ذلك قراراً متعجلاً، اُتخذ دون دراسة أو تحسب لما يمكن أن يترتب عليه من نتائج[103].

–ثار الغرب الرأسمالي لهذا القرار، وبخاصة ما كان من (إنجلترا وفرنسا)؛ حيث أخذتا في الإعداد لإجراء حاسم، ردا على مصر التي اتجهت نحو الكتلة الشرقية، واشترت أسلحة تشيكية. وتواترت الأنباء عن حشود إنجليزية وفرنسية في (قبرص) استعداداً لعمل عسكري ضد (مصر) بالاشتراك مع دولة اليهود، ورداً على ما عدوه وإخلالاً بالصفة الدولية لقناة السويس، ولكن (عبد الناصر) لم يكترث، ولم يأخذ هذه التهديدات مأخذ الجد، بل كان هناك استرخاء عسكري على الرغم مما يجري، حتى إن القيادة المصرية خففت من أعداد القوات المعدة للقتال لأسباب غير مفهومة[104].

–نسق اليهود جهودهم مع حلفائهم استعداداً للحرب، فاتفقوا مع فرنسا على تأمين الغطاء الجوي الكافي للمدن الإسرائيلية، على أن يتولى السلاح البحري تأمين حراسة السواحل الإسرائيلية، وأن تشارك القوات الفرنسية بالقتال ضد أي دولة عربية تدخل الحرب إلى جانب (مصر)، وأُسند إلى السلاح الجوي البريطاني مهمة تدمير الطيران المصري على الأرض.

–وبدأت الحرب في 29 تشرين الأول (أكتوبر) 1956م، بمهاجمة الخط الأقل خطراً في نظر القيادة المصرية، وهو المنطقة الجنوبية من سيناء، وأعلن اليهود أنهم يقاتلون على بُعد 40كم من قناة السويس؛ حتى يعطوا الذريعة لكل من

---

[103] المرجع نفسه ص20

[104] المرجع نفسه ص21

إنجلترا وفرنسا للتدخل العسكري، بحجة حماية حرية الملاحة الدولية في قناة السويس.

-وبالفعل أقدم سلاح الجو البريطاني على ضرب الطيران المصري على الأرض، واضطر المصريون إلى القتال دون غطاء جوي على مختلف المحاور، وأبلى المقاتلون المصريون مع كل ذلك بلاء حسناً في القتال؛ لولا أن الأوامر صدرت من القاهرة للقوات الأساسية بالانسحاب، بعد إنذار أرسلت به إنجلترا وفرنسا. وبدأ الانسحاب ليلة 31 أكتوبر 1956م، من قطاع إثر قطاع؛ ما سبب حالة من الارتباك والاضطراب.

-وفي ظل غياب أي غطاء جوي أو طبيعي من جبال أو أشجار، كان الانسحاب شاقاً ومكلفاً، فقد أصبحت القوات المنسحبة هدفاً مكشوفاً أمام الطائرات النفاثة المغيرة، والمحملة بكل أنواع الأسلحة المدمرة والحارقة[105].

وهكذا انتهت الحرب بهزيمة الجيش المصري وإهانته؛ في الحرب بدأتها بالدعاية، وأوصلها الغرور إلى أسوأ نهاية، فقد احتلت سيناء، ولم ينسحب اليهود منها إلا بعد أن ضمن المصريون لهم السماح بالملاحة في الخليج العقبة كيفما شاءوا. ويعد هذا الأخير أهم مكسب لإسرائيل في الحرب[106].

الجولة الثالثة: (1376هـ-1967م)

هي الحرب الثانية في العهد الثوري القومي التقدمي " التحرري"، يسميها اليهود (حرب الأيام الستة) ويسميها العرب(حرب النكسة) أو (حرب5يونيو)، وقد كانت عاراً لم تُمسح آثاره إلى اليوم، حيث كان هدف اليهود من دخولها احتلال القدس، فتحقق الاحتلال، ولم تُحرر القدس إلى الآن بعد أكثر من أربعين عاماً على احتلالها، بل احتلت أراض أخرى لتأمين بقاء القدس بيد اليهود، ولتبقى

---

105 د. عبد العزيز مصطفى كامل – العلمانيون وفلسطين ستون عاما على الفشل وماذا بعد؟- ص22

106 المرجع نفسه ص 23

عمليات المقايضة والمساومة عليها، وكان في مقدمة ذلك احتلال سيناء، التي لم تترك إلا بعد تعهد النظام في مصر بعدم دخول أي حرب (تحرير) أخرى بعد {تحريرها}، وذلك هو ما كان جوهر اتفاقية كامب ديفيد الموقعة عام 1978م، وكذلك أخذ اليهود في كرب النكسة من السوريين أرض الجولان، ومن الأردن الضفة الغربية للسبب ذاته، وليكون التخلي عن تلك الأراضي منقوصة السيادة ثمناً للتخلي عن تبني قضية القدس مستقبلاً[107]

الجولة الرابعة: (1393هـ-1973م)

درجت أوساط كثيرة على وصف حرب أكتوبر عام 1973م بأنها حرب (التحريك) وليست حرب (التحرير) كما اشتهرت على الألسنة؛ وذلك لأنها جاءت من أجل تحريك الأوضاع بعد حالة (اللاسلم واللاحرب) التي امتدت لعدة أعوام قبل نشوبها.

ومن العجيب أن الرئيس (حسني مبارك) الذي شارك بدور رئيسي في تلك الحرب قد وصفها علناً بأنها كانت(حرب تحريك) وليست حرب تحرير[108].

واشتهر على نطاق واسع أن وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (هنري كيسنجر) هو الذي أوحى إلى السادات بمضمون فكرة (حرب التحريك)![109]

الجولة الخامسة: (1402هـ-1982م)

أعطت حرب أكتوبر 73 الفلسطينيين إشارة، بأن عليهم أن يتحملوا بأنفسهم مسؤولية قضيتهم الوطنية، بعد أن انفض سامر الدعايات القومية، وقد بدؤوا في تحمل مسؤوليتهم، وكان من ذلك محاولة تقوية وجودهم في جنوب لبنان، المتاخم لشمال الدولة العبرية الصهيونية المغتصبة، وقد كان تجمع المقاتلين الفلسطينيين في جنوب لبنان أمراً مقلقاً للجانب الإسرائيلي منذ وقف إطلاق

---

[107] د. عبد العزيز مصطفى كامل – العلمانيون وفلسطين ستون عاما على الفشل وماذا بعد؟-ص26

[108] المرجع نفسه ص35

[109] المرجع نفسه -جاءت في التهميش ص 37

النار الذي أبرم بين الدولة العبرية ومنظمة التحرير الفلسطيني في شهر يوليو(تموز) عام 1981م؛ حيث كانت المنظمة ترد على اعتداءات اليهود بقصف شمال دولتهم العبرية بالصواريخ، وقد استغل اليهود تلك العمليات، إضافة إلى قيام منظمة (أبو نضال) الفلسطينية المناهضة لياسر عارفات بمحاولة اغتيال سفير (إسرائيل) في بريطانيا، كي تشن حرباً على منظمة التحرير في لبنان، تحت غطاء حماية أمريكية[110].

وبدأت تلك الحرب تحت دعوى إبعاد منظمة التحرير وما معها من صواريخ (الكاتيوشا) إلى مسافة 40كم عن حدود(إسرائيل)، ثم عدل الإسرائيليون ذلك– على لسان الناطق الرسمي للحكومة الإسرائيلية– إلى أربعة أهداف واضحة، وهي: إجلاء كل القوات (الأجنبية) من لبنان(ويقصد القوات السورية والفلسطينية) ثم تدمير القيادة الوطنية الفلسطينية وما معها من قدرات، وبعدها تمكين القوات اللبنانية من السيطرة على أراضي لبنان بعد تنصيب قيادة قادرة على ذلك، وأخيراً توظيف كل ذلك للوصول إلى إبرام معاهدة سلام مع لبنان، يضمن أمن شمال (إسرائيل) من هجمات الفلسطينيين؛ لأجل ذلك تقرر خوض الحرب[111].

إن الصراع العربي الإسرائيلي بعد حروبه المعروفة والتي أسلفنا الحديث عنها وبشكل مختصر(1948–1956–1967–1973–1982)، أخذ منحى أخر وكثُر فيه الغباء والاستغباء للشعبين العربي والإسرائيلي على حدٍ سواء من طرف الحاكم العربي والإسرائيلي، فالغباء بقي حكرا على الحاكم العربي حيث يتجلى غبائه في كونه أنه كلما طرأ طارئ خصوصاً إذا كان هذا الطارئ مع إسرائيل يحمل نفسه ويتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية يولول وينوح علا

---

[110] المرجع نفسه ص41

[111] د.عبد العزيز مصطفى كامل – العلمانيون وفلسطين ستون عاما على الفشل وماذا بعد؟-ص42

أمريكا تجيره مما هو فيه متناسيا ومتجاهلا سطوة اللوبي اليهود في البيت الأبيض الذي يشل الإدارة الأمريكية عن اتخاذ أي قرار يضر بإسرائيل ومصالحها، فما أشبه حال الزعيم العربي بحال من يستجير برمضاء من النار؛ وأرجو منك أيها القارئ الكريم أن تبقى محافظاً على هذه النقطة في ذهنك لأني سأجليها لك فيما بعد بالتفصيل والأدلة لأثبت لك أن إسرائيل أقوى من أمريكا وأن أمريكا هي الأخرى تحتاج إلى من يخلصها من سطوة اللوبي اليهودي.

إذا كان الغباء حِكراً على الحاكم العربي فالاستغباء يشترك فيه كلا النظاميين العربي والإسرائيلي ولا نعلم من أخذ الفكرة عن الأخر، وإن كنت أرجح أن زعماء الدول العربية هم السباقون لهذه القضية فهم ذوو خبرة واسعة في استحمار شعوبهم وأن إسرائيل هي من استنسخ فكرة استحمار الشعب من العرب،وخير دليل على ذلك ما نشره معهد الإسرائيلي للد يمقراطية في إسرائيل التي تصف نفسها ببلد الديمقراطية نجدها اليوم تستغبي شعبها وتعمل على ترويج الأكاذيب:{ ومما يؤكد وهم ديمقراطية إسرائيل ما كشفه مؤشر الديمقراطية في إسرائيل لعام 2014، الذي يجريه سنوياً المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، بأن ثقة المجتمع الإسرائيلي بمؤسسات الدولة والقيادة متدنية جداً حيث أظهر أن 60% من الإسرائيليين لا يثقون بالمؤسسات الحكومية وفي قدرتها على حل المشاكل التي تواجه المجتمع، وأعربوا عن عدم ثقتهم بالحكومة واعتبروها حكومة فاسدة}[112] .

وبرغم من أن أهم ثوابت الديمقراطية الفاعلة في جميع دول العالم المتقدم الديمقراطي هو السماح لوسائل الإعلام المستقلة، بنقل الآراء النقدية والنزيهة للشعب، تم وضع علامات استفهام كبيرة أمام هذا الثابت خلال العام الماضي

---

[112] محمود محيى الدين، وهم الديمقراطية في إسرائيل. http://www.youm7.com.

في إسرائيل، ففي الأسبوع الأخير من 2014، تم تعتيم شاشة القناة العاشرة الإسرائيلية على خلفية ديون مالية كبيرة عليها، واتهمت إدارة القناة والعاملين فيها رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، الذي يتولى منصب وزير الإعلام، بأنه كان بإمكانه التدخل من أجل تأجيل دفع الدين وبالسماح للقناة بالاستمرار في الوجود، ولكن بسبب الانتقادات السياسية التي كانت تطلقها القناة ضده من خلال المحللين السياسيين العاملين فيها عمل نتنياهو على إغلاقها.[113]

أما الحاكم العربي فهو يستغبي شعبه بطريقة جد مذهلة وعبقرية، إذ نجده يطبق عليهم المقولة المشهورة والتي تنسب إلى أدولف هتلر:" إذا أردت السيطرة على الناس أخبرهم أنهم معرضون للخطر، ثم حذرهم أن أمنهم تحت التهديد، ثم خون معارضيك وشكك في ولائهم ووطنيتهم"، فيضيف الزعيم العربي لهذه المقولة من فلسفته في البطش الشطر التالي: فاعتقله واغتصب كل حرمة في بيته وهدم داره وشرد أهله فإن لم يذعن فأرسله في رحلة وراء الشمس يرتاح وترتاح.

بالعودة إلى المقولة المنسوبة إلى هتلر التي لن تجد على وجه البسيطة شخص نفذ وصية هتلر بدقة أكثر من الحاكم العربي فهو يستعمل الشطر الأول من المقولة { إذا أردت السيطرة على الناس أخبرهم أنهم معرضون للخطر، ثم حذرهم أن أمنهم تحت التهديد} في الشؤون الخارجية مع الدول فهو يوهم شعبه بأن بلدهم مهددة من طرف دولة آخرة فعلى سبيل المثال نحن عدونا الأول والذي يهدد أمننا واستقرارنا هي إسرائيل على حد قولهم، لهذا على المواطن العربي أن يسلم عقله وماله وشرفه لزعيم العربي الهمام مخلص الشعوب، الذي يرفع ثيابه للعدو الخارجي من أجل أن يقضي حاجته، عفوا أقصد شعارات

---

[113] محمود محيى الدين، وهم الديمقراطية في إسرائيل. http://www.youm7.com.

المقاومة والممانعة والمضاجعة والمعانقة وما إلى ذلك من الشعارات التي استنزفت خزينة الأمة العربية وأنهكت البلاد والعباد، فما أكثر الزعماء الذين نفذوا وصية أبيهم هتلر فجثموا على الصدور وكتموا الأنفاس ونهبوا البلاد واستعبدوا العباد بحجة القُمامة(المقاومة)، والنظام السوري خير مثال على ذلك نهب البلاد واستعبد العباد تحت ذاك الشعار المزعوم ولم يطلق طلقة واحدة على إسرائيل؛ أما الشطر الثاني من المقولة{ ثم خون معارضيك وشكك في ولائهم ووطنيتهم} فهو يُستغل في الشؤون الداخلية قبل الانتخابات البرلمانية والرئاسية وعند تعارض مصالح لصوص الداخل فيما بينهم، وحتى لا يفتضح أمرهم يلفونها بغلاف وطني ويُحاكم المتهم على أنه غير وطني وأنه عميل لجهة ما وفي النهاية يعدم ويسدل الستار على القضية.

فهدفي من هذا التحليل لصراع العربي الإسرائيلي هو الوصول بك أيها القارئ إلى فكرة مفادها أن الحكومة الإسرائيلية والأنظمة العربية وعلى رأسها السلطة الفلسطينية تستغل هذا الوضع الذي يسمونه الصراع العربي الإسرائيلي من أجل تحقيق هدفين، الأول يتمثل في تعتيم على فسادهم، والثاني يتمثل في إلهاء الشعوب عن المطالبة بحقوقهم في شتى المجلات. فلا وجود لصراع عربي إسرائيلي من أجل القدس بالمعنى الحقيقي لصراع، فما القدس إلا ذريعة دينية تستعمل من الطرفين لإعطاء جشعهم الصبغة الدينية فهم يعلمون أن الدين أفيون الشعوب وأن المواطن الإسرائيلي والعربي على حدٍ سواء سريع الرضوخ أمام الدين، نعود ونقول هناك مصالح متعارضة بين الطرفين هي التي تدفع ببعض الجماعات من كلا الطرفين إلى بعض الأعمال التي تقارب الألعاب البهلوانية التي يدفع ثمنها الشعبيين العربي والإسرائيلي الذين لا ناقة لهم ولا جمل في هذه القضية.

وقد نشر موقع ويكيليكس وثائق تثبت أن الصراع العربي الإسرائيلي ما هو إلا ذر للرماد في العيون

{ أظهرت وثائق سرية مسربة خاصة بملف المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية أن الجانب الفلسطيني كان قد قبل باحتفاظ إسرائيل بمستوطنات الضفة الغربية كلها باستثناء واحدة فقط.

وأكدت الوثائق التي نشرتها قناة "الجزيرة" القطرية وصحيفة "الغارديان" البريطانية يوم الأحد 23 يناير/ كانون الثاني، ومصدرها كل من القنصلية الأمريكية في القدس والسفارة الأمريكية في تل أبيب، أن الفلسطينيين قد وافقوا كذلك على عودة وصفت بالمحدودة للاجئين الفلسطينيين.

وأكدت قناة الجزيرة التي بثت الوثائق أنها تشكل "أكبر تسريب للمعلومات في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي"، مضيفة إن معظم الوثائق صدرت باسم "دائرة شؤون المفاوضات" في منظمة التحرير الفلسطينية ولم تكشف القناة كيف حصلت عليها.

وأشارت الوثائق إلى جلسات للتنسيق الأمني بين الإسرائيليين والفلسطينيين وإلى العرض الذي قدمه الجانب الفلسطيني خلال المفاوضات حول القدس واللاجئين.

وبينت الوثائق استعداد القيادة الفلسطينية لتقديم تنازلات، حيث نقلت عن صائب عريقات كبير المفاوضين الفلسطينيين قوله خلال لقاء مع تسيبي ليفني وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة "ليس سراً إننا عرضنا عليكم أكبر أورشليم (القدس) في التاريخ."

وأكدت الوثائق أن الجانب الفلسطيني تنازل عن الحي اليهودي وعن جزء من الحي الارمني خلال المفاوضات حول مستقبل البلدة القديمة في القدس الشرقية المحتلة.

وشددت الوثائق أن عريقات قدم تنازلات حول المسجد الأقصى، لأنه دعا خلال إحدى جلسات المحادثات لإيجاد "طرق خلاقة" للتعامل مع هذا الملف.

كما جاء في هذه الوثائق أن أحمد قريع كبير المفاوضين السابق أبدى استعداد الفلسطينيين للتخلي عن جميع المستوطنات في القدس، سوى أبو غنيم التي بنيت في العام 1997 ويطلق عليها الإسرائيليون اسم هار حوما.

وجاء في الوثائق على حد ما بثته فضائية "الجزيرة" أن قريع تحدث عن مصلحة فلسطينية – إسرائيلية مشتركة للإبقاء على بعض المستعمرات. وأشارت إلى أن نسبة تبادل الأراضي في القدس بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي 1 – 50 % لصالح إسرائيل.

وفيما يتعلق بالحرم القدسي الشريف عرض الجانب الفلسطيني – حسب ما بثته الجزيرة – تركه للنقاش في وقت لاحق لإيجاد حلول خلاقة كتكوين هيئة أو لجنة أو مقابل تعهدات إسرائيلية بوقف الحفريات في المكان الأمر الذي رفضه الجانب الإسرائيلي.

وفي ما يتعلق باللاجئين، قالت إحدى الوثائق على لسان عريقات استعداد السلطة الفلسطينية للاكتفاء بعودة 10 آلاف سنويا خلال 10 سنوات، أي بما مجموعه 100000}[114]

وكشف المصدر ذاته(ويكيليكس)، أن عناصر من حركة فتح طلبوا من إسرائيل مهاجمة حماس وقال رئيس الأمن الداخلي الإسرائيلي يوفال ديسكن خلال لقاء مع السفير الأمريكي في تل أبيب ريتشارد جونز أن عناصر من حركة فتح طلبوا من إسرائيل مهاجمة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)في عام 2007م. ونقلت البرقية عن ديسكن تأكيده أن عناصر من حركة فتح الذين انهارت معنوياتهم أمام قوة حماس المتنامية، طلبوا من الإسرائيليين مساعدتهم.

وقال ديسكن أنهم يطلبون منا مهاجمة حماس مضيفاً أنهم يائسون، وتابع ديسكن مشيدا بـ علاقة العمل الجيدة جداً مع الأجهزة الأمنية للرئيس محمود

---

[114] ويكيليكس تكشف وثائق سرية يتنازل بموجبها الفلسطينيون عن القدس وحق العودة –

عباس التي تتقاسم مع الشين بيت كل المعلومات الاستخبارتية التي تجمعها تقريباً كما قال.

ونقلت البرقية التي تحمل صفة " سري " وصادرة عن السفارة الأمريكية في تل أبيب بتاريخ 13حزيران (يونيو)2007 عن ديسكن قوله: لقد تلقينا طلبات لتدريب قوات من حركة فتح في مصر واليمن. ولكن أوضح أن له تحفظات على تدريب الفلسطينيين في بلد مثل اليمن مع وجود تنظيم القاعدة حسب تعبيره.[115]

ويضيف موقع ويكيليكس أن مصر وفتح كانتا على علم بالعدوان على غزة قبل وقوعه، إذ يقول صاحبه أن إسرائيل تشاورت مع مصر والسلطة الفلسطينية قبل بدء حربها على قطاع غزة نهاية عام 2008 بشأن تولي السيطرة على القطاع بمجرد هزيمة حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

وذكرت الوثائق التي نشرها الموقع أن الجانبيين رفضا طلبا إسرائيليا لدعم العدوان، إلا أنهما لم يقطعا خلاله " الحوار " مع تل أبيب.

وكشفت الوثائق أن إسرائيل سألت الطرفين عما إذا كانا على استعداد للسيطرة على قطاع غزة بعد هزيمة حماس موضحة أن باراك تلقى ردا سلبيا، وهو أمر غير مستغرب، وأضافت أن باراك انتقد ضعف السلطة الفلسطينية وعدم ثقتها بنفسها.[116]

وذكرت صحيفة الديار وغيرها من الصحف على موقعها الإلكتروني أن {حسناء الكنيست} صرحت بأنها استفتت الحاخام الأكبر في إسرائيل فأفتها بأنه :{يحق لها أن تنام مع الغرباء وتمارس الجنس شرط أن يخدم ذلك إسرائيل}.

---

[115] ويكيليكس بالعربي – عناصر من حركة فتح طلبوا من إسرائيل مهاجمة حماس-

[116] ويكيليكس بالعربي- مصر وفتح علمتا بعدوان غزة قبل وقوعه-

وقالت ليفني لشخصيات الغرفة التي مارست فيها الجنس مع شخصيات فلسطينية ومنهم صائب عريقات وياسر عبد ربه، كانت مزودة بالكاميرات التي تصور الممارسة وتظهر الفيديوهات المسؤولين الفلسطينيين وهما من دون ثياب ويمارسان الجنس معها، وأصبحت ليفني تهدد عدداً من الشخصيات العربية بنشر الأفلام التي تم تصويرها على اليوتيوب إذا لم ينفذوا ما تأمرهم به.

ومما يؤكد الخبر أن تسبي ليفني صرحت في مقابلة مع صحيفة تايمز أنها ليست ضد ممارسة الجنس في سبيل الحصول على معلومات تفيد إسرائيل.[117]

عجباً للفلسطينيين **يطبعون** و **يضاجعون** مع إسرائيل في السر والعلن، وفي الليل والنهار ويقدمون تنازلات تضر بمصلحة البلاد والعباد وفي الأخير وبعد هذا التسليم والاستسلام يطالبون من العرب أن يكونوا فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أصحاب القضية...!! بدافع **القدس** و**الأقصى الشريف** و**مسرى الرسول** و**أولى القبلتين** و**ثالث الحرمين** و... وما إلى ذلك من الشعارات **الكذابة،** ها هي ذي قضية الدين أفيون الشعوب تكرر نفسها بنكهة عربية فلسطينية محضة.

ثم إن التطبيع الجانب الفلسطيني مع إسرائيل يجعلنا في حِلٍ من كل الالتزامات اتجاه القضية الفلسطينية ويرفع عنا الحرج إذا ما خطونا خطوات الرئيس المصري الراحل(أنور السادات) لأن صاحب القضية تخلى عن قضيته فما بالك بنا نحن الذين لا نملك ناقة ولا جمل في هذه القضية، بل قد قدمنا تضحيات تسببت في عرقلة دوران عجلة النمو على جميع الأصعدة في الوطن العربي.

أما في الطرف الثاني أي إسرائيل، نجد{ أن العديد من الخبراء الأمنيين الإسرائيليين يطالبون بتغير مفاهيم العقيدة الأمنية الإسرائيلية، وتبني مفاهيم

[117] لكثرة المصادر التي تناقلت الخبر لن نذكر اسم مصدر معين وإنما نكتفي بإيراد هذه الملاحظة عليك بكتابة (ممارسة تسبي ليفني الجنس مع العرب) على النت وسترى بأم عينك العدد الهائل للمواقع التي تناقلت الخبر .

جديدة تنسجم مع المستجدات الإستراتيجية خلال الأعوام الأربعة الماضية، ويدعي أولئك الخبراء أن المستجدات الإستراتيجية حملت تغيرات جذرية وعميقة، أدت إلى إضعاف منظومة الدول العربية في الجوار الإسرائيلي، وبروز لاعبين جدد، على خلفية صراعات دينية وطائفية وعرقية- إثنية، تجعل من الصراع العربي والفلسطيني- الإسرائيلي صراعاً ثانوياً.

وعلى صعيد الحسابات الداخلية الإسرائيلية، لم تعد تسوية الصراع العربي والفلسطيني- الإسرائيلي أولوية بالنسبة لغالبية لنخب السياسية والشارع في إسرائيل، كما أن إدماج إسرائيل في المنطقة، بتطبيع علاقاتها مع البلدان العربية، لم يعد يطرح على بساط البحث إسرائيلياً كضمانة لمستقبل إسرائيل، ولذلك يلاحظ أن القضايا السياسية تحوّلت إلى أجندات ثانوية في البرنامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية في الانتخابات التشريعية، بينما تقدمت القضايا الاجتماعية والاقتصادية إلى رأس قائمة اهتمامات الناخب الإسرائيلي}.[118]

وخلال السنوات الأخيرة تنافس جهاز الموساد وشعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان) على كسب حق السبق في كل ما يتصل بـ " الخطر النووي الإيراني " ، وعكس ذلك حالة التخبط بشأن كيفية التعامل مع هذا الخطر، وهو ما تؤكده التناقضات الحادة في تصريحات المسئولين الإسرائيليين الذين بدوا وكأن البرنامج النووي الإيراني يسبب لهم أرقاً دائماً، وظهرت ثلاثة مستويات من المواقف خلال تعاملهم مع الأزمة الإيرانية، وهي:

المستوى الأول: عبر عنه قادة سياسيون وعسكريون (إيهود باراك، غابي أشكينازي، إيهود أولمرت، بنيامين نتنياهو، أفيغدور ليبرمان...) مفاده أنه على الدولة العبرية الاستعداد للخيار العسكري، وإعداد العدة لشن هجوم في أي لحظة مناسبة على المنشآت النووية الإيرانية، وهذه هي إستراتيجية " **نتنياهو** "

---

[118] عامر راشد – هل حقاً بات الصراع مع إسرائيل ثانوياً في الشرق الأوسط-
http://arabic.sputniknews.com

التي يسميها " **إيران أولاً** " أي مواجهة التهديد النووي الإيراني قبل أي ملف آخر (فلسطيني، سوري، لبناني). أما ليبرمان فيعتبر أن إيران هي المشكلة الرئيسية في الشرق الأوسط.

أما المستوى الثاني: فقد عبر عنه رئيس شعبة الاستخبارات السابق اللواء الاحتياطي " أهرون زئيفي فركش " حين قال: (إن إسرائيل غير قادرة على مواجهة التهديد النووي الإيراني بقواها الذاتية، وإنها بحاجة ماسة إلى مساعدة الولايات المتحدة).

أما المستوى الثالث: فيكمن ملاحظته في موقف رئيس الدولة "شيمون بيريز" الذي قال للمبعوث الأمريكي إلى الشرق الأوسط " جورج ميتشل" في 2009/4/17: (إن لا نية لجيشه بمهاجمة إيران، وأنه من الواجب خلق تعاون دولي واسع في المسألة الإيرانية، وإن كل الأحاديث عن هجوم إسرائيلي محتمل على إيران ليست صحيحة، فالحل في إيران ليس عسكرياً).[119]

نخلص من هذه المستويات لثلاثة نقاط:

– أن الصراع مع العرب سوء كان داخلي مع المقاومة الفلسطينية أو خارجياً مع لبنان وسوريا بات ملف ثانوي كما أشرنا سابقاً، حيث رسم نتنياهو خطة أسمها إيران أولاً بمعنى أن إيران هي العدو الأول لإسرائيل.

– أن إسرائيل في أمس الحاجة إلى من يقف بجانبها ويسندها لتخوض الحرب مع إيران. فنحن نرها تغدو وتروح على أمريكا ولكن الظاهر أن أمريكا في عهد الفتى أوباما لن تمكن إسرائيل مما تريد.

– أن شيمون بيريز يكذب في الكلام الذي قاله لجورج ميتشل، فلو لم تكن إسرائيل تعد نفسها للحرب مع إيران لما (قامت بمناورات والتدريبات وزادت من نسبة واردات السلاح وشراء المزيد من الطائرات الحربية والاستخباراتية الأكثر

---

[119] د. وسام الدين العكلة – إسرائيل والبرنامج النووي الإيراني – ص1

تطوراً في العالم، وإجراء تجارب على منظومة صواريخ "حيتس" الاعتراضية)[120]

ففي ما يزعمون بأنه صراع عربي إسرائيلي هناك مسألة لابد لنا من التطرق إليها ووضع فيها النقاط على الحروف حتى لا تتملص الأنظمة العربية من تحمل عواقبها، آلا وهي مسألة توسع إسرائيل أو ما يعرف بدولة إسرائيل الكبرى. فلو عدنا إلى الخرائط من سنة 1948 إلى غاية يومنا هذا سنجد أن إسرائيل تنكمش ولا أثر لتوسعها على الأرض، فتزعم الكثرة الكثيرة من متتبعين ما يحدث في الوطن العربي من ربيع العربي كما يسمونه وأسميه خريف- لأننا تعودنا على سقوط الأوراق في فصل الخريف كما تتساقط أرواح العرب في ربيعهم المزعوم فالربيع موسم نماء وازدهار- أن إسرائيل تعمل على تحقيق مشروعها من أجل استكمال بناء دولتها الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل وذلك من خلال تقسيم الدول العربية التي طالتها ريح هذا الخريف (العراق، سوريا، لبنان، مصر).

نسلم لكم جدلاً أن وراء هذه الأصوات المنادية بالتقسيم في هذه الدول هي إسرائيل ولكن هناك سؤال يطرح نفسه ما الدافع من وراء هرولة ليبيا نحو التقسيم والسودان من قبله علماً أن السودان وليبيا ليستا محصورتين بين الفرات والنيل ؟؟ طبعاً سيكون جوابك إضعاف الدول المجاورة لإسرائيل أو كما يدعي البعض أن إسرائيل تبحث عن موطئ قدم لها في إفريقيا من أجل التجسس على دول شمال إفريقيا، فأنا أقول كن مطمئن فإسرائيل تملك من التكنولوجيا ما يؤهلها من معرفة لون الثوب الذي تنام به زوجتك بضغطة زر، وإن أردت أن تطلع على هذه المسألة لك أن تعود إلى{ مراكز البحث العلمي في إسرائيل للدكتور عدنان عبد الرحمن أبو عامر}، ونقول أيضاً أن القاسم المشترك بين

[120] المرجع نفسه ص 2

التقسيم في (العراق، لبنان، سوريا، مصر، ليبيا، السودان) هو " القبيلة " و" استبداد الحاكم العربي الذي يقدم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ".
وحتى تتضح لك الرؤية هاك مثال أو مثاليين على ما نقول حتى تعي أننا لا نكتب إنشاء:
إن المتصفح لتاريخ العرب منذ العصر الجاهلي –هذا إن سلمنا جدلا أن هناك أناس عاشوا في ذلك العصر– إلى غاية يومنا هذا سيجد أن للقبيلة تأثير رهيب على الفرد فهي تسلبه جوهره وتحوله إلى آلة تحركها وقت ما تشاء وكيف ما تشاء غير أبهت بمصلحته فهي تخدم مصالح علية القوم وتدوس على رقاب أخلاطهم، فمن شدة تعصب الفرد لقبيلته تجده يرفض كل ما يتعارض مع مصالح القبيلة أو ينقص من قيمتها بين القبائل حتى ولو كان هذا الأمر من عند الله ، فالدعوة المحمدية لم تُرفض بدافع تمسك كفار مكة بآلهتهم وآلهة آ باءهم كما يزعمون، بل كان الدافع الرئيسي هو التعصب القبلي؛ ففي موقعة بدر خلا أبي بن شريق بأبي جهل فقال له: أترى محمداً يكذب؟ فقال أبو جهل: كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء يبقى لنا. وتقول الرواية إنه عندما سمع ابن شريق ذلك غادر هو وقومه بنو زهرة وكانوا في ثلاثمائة رجل وترك أبا جهل وقومه وحدهم في مواجهة المسلمين. [121] أتمنى أن تكون قد تنبهت إلى أن المانع الذي منع أبو جهل من الإسلام هو التعصب القبلي وليس حباً في الآلهة.
ويروى عندما جاء العباس عم النبي بأبي سفيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى مكة لفتحها،أصر عمر بن الخطاب على أن يضرب عنقه، فقال: يارسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد

---

[121] الدكتور محمد عابد الجابري –العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته-ص87

فدعني فلأضرب عنقه. فقال العباس: يارسول الله إني أجرته، فلما أكثر عمر في شأنه قال العباس: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف.

كما يروى أن شخصاً يسمى قزمان أبلى في قتال المشركين يوم أُحُد، فلما بشروه بالجنة قال: أي جنة، والله ماقاتلت إلا حمية لقومي.[122]

فالقاسم المشترك بين الروايات الثلاث هو القبيلة ودورها السلبي الذي لعبته، فالأول منعه تعصبه من دخول الإسلام والثاني كان يريد ضرب عنق شخص – أبا سفيان– لأنه ليس من قبيلته بدافع تصفية حسابات بعيدا عن نصرة الإسلام والدعوة المحمدية، وأما الثالث كان همه هو نصرة قبيلته فلم يكترث عندما بشروه بالجنة. هذا عن الأشخاص أما عن الحديث القبائل التي فضلت الانشقاق عن الدولة الإسلامية وتشكيل دويلات على أساس قبلي غير مكترثة بما ينجم عن انقسام الدولة الأم، اليكم مثلا أو مثالين على ذلك

بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع، السنة العاشرة، أصيب بوعكة صحية نتيجة أتعاب السفر. وما إن شاع الخبر حتى انطلقت حركات تمردية في الأطراف، يتزعمها رجال ادعوا النبوة فسارت وراءهم قبائلهم والقبائل المتحالفة معها معلنة رفضها لسلطة قريش، وحكومتها: قام الأسود العنسي باليمن وادعى النبوة وأعلن الثورة فغلب على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والاحساء إلى عدن واستطار أمره كالحريق فشمل النصف الجنوبي من خط الطائف، قريباً من مكة غرباً، إلى الاحساء شرقاً فكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى من بقي من المسلمين باليمن يطلب منهم جعل حد لحياة الأسود العنسي. الذي يكن المتمرد الوحيد، بل لقد ادعى النبوة كذلك مسيلمة الحنفي، وكان قد جاء إلى النبي مع وفد بني حنيفة عام الوفود، ولما

[122] المرجع نفسه ص 97

رجع إلى بلاده اليمامة زعم أن النبي قد أشركه معه في النبوة فتبعه قومه بنو حنيفة وأمروه عليهم.وارتد كذلك طليحة الأسدي فتبعته جموع كبيرة من قبائل أسد وغطفان وطيء وغيرها، أي القطاع الشمالي الشرقي لخط مكة/ المدينة، وكانت وجهتهم المدينة بقصد احتلالها.[123] فأمر الانفصال لف بغطاء ديني.

حدث هذا بعد أن شاع خبر مرض الرسول صلى الله عليه وسلم فأما بعد وفاته فكانت الطامة الكبرى ، عظم أمر الردة واستفحل ، الكل تمرد وطالب بالإنفصال، فما أشبه حال العرب والمحسوبين على الإسلام في ذاك الزمن بحال العرب وأشباه المسلمين اليوم، فبمجرد ما أن يسقط النظام أو يرخي قبضته تنادي الأقليات بالإنفصال عن الدولة الأم، فهذه أدلتي على دور جهل الشعوب في تقسيم الدولة إلى دويلات، أما فيما يخص الحاكم الذي قلنا عنه يعمل على تقديم مصلحته الخاصة على المصلحة العامة فنقول القصور والأموال والسيارات...وما إلى غيرها من الأمور التي وجدت بعد سقوط نظامي صدام والقذافي تدل على أن هذا النظام كان يعمل على توفير الرفاه التام لنفسه وأبنائه وحاشيته على حساب الشعب ، و الله أعلم ما تخفي كواليس باقي الأنظمة، فهذا أكبر دليل على تقديم مصلحتهم على مصلحة شعوبهم.

وقفنا هذه الوقفة الصغيرة مع تقسيم لدول العربية إلى دويلات، حتى نصل بك إلى فكرة مفادها، أنه إذا اجتمع استبداد الحاكم إلى جهل المحكوم في أي رقعة من الأرض مهما كانت طهارتها سيكون مصيرها التشرذم والتقسيم. انظر إلى الوطن العربي من حولك نظرة متأمل عاقل لا نظرة جاهل متعصب، وإلى ما يحدث فيه من قلق وفوضى ستجد أن السبب الأول لتشرذم هذه الأمة هو الحاكم المستبد وجهل المواطن الذي يقف عاجزاً راضخاً أمام القبيلة التي لا يهمها الحفاظ على المصلحة العليا لدولة.

---

[123] الدكتور محمد عابد الجابري- العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته- ص130و131

ثم هنالك عدة تساؤلات تطرح نفسها، آلا يرجع الفضل إلى الإخوة العرب فيما يعيشه العراق اليوم؟ ويرجع الفضل لهم أيضاً في ضرب وحدة ليبيا وإذكاء نار الفتنة بين مكوناته ، وهاهم اليوم يعملون ليلا نهار من أجل تقسيم سوريا على أساس عرقي وطائفي، وغداً لبنان ومن المحتمل مصر بعد غد وفي الأيام القليلة الآتية ربما سيكون الدور على الجزائر أو المغرب من يدري كل شيء ممكن مدام الحاكم (العربي) لا يفكر إلا في مصالحه ومصالح حاشيته، ومدام المواطن يقدس القبيلة ويسلم أمره لفئة يغلب عليها الجهل والتخلف هي من تخطط لمستقبله ومستقبل أبنائه...

تعودنا نحن العرب ىا لو عثرت لنا بغلة في الشام أن نقول إسرائيل وراء تعثرها، لقد أخذنا الدور من إسرائيل وأضحت هي المتفرج والرابح الأول، لأنها لم تخسر جندي واحد ولم تطلق طلقة واحدة لأن العرب قادرين على أن يفعلوا بأنفسهم ما لم تستطع إسرائيل أن تفعله بهم من عقود، بصاريح العبارة لا دخل لإسرائيل بما يحدث في الوطن العربي من حروب طائفية وإثنية؛ كفانا ضحك على أنفسنا والقول بأن إسرائيل هي وراء كل صغيرة وكبيرة في الوطن العربي ، وإذا أردنا تحديد دورها فيما يحدث في الوطن العربي سنجده متمثلا في تغذية ما حدث وما يحدث بهدف إلهاء العرب فقط وهذا أيضا ليس بجديد فنحن نفعل هذه الأمور ببعضنا البعض ، نعمل على خلق الفوضى في الدول المجاورة لنا من أجل عرقلة التنمية والتطور، صدام بغزوه للكويت مثال رقم واحد وتدخل النظام السوري في الشأن اللبناني مثال رقم اثنين وغيرها من الأمثلة التي لا يسعنا الوقت لذكرها..، هناك دول لا تهنئ إلا إذا رأت جيرانها يغرقون في الفوضى والتطاحن الداخلي.

أقول: إسرائيل ليست ملامة فيما تفعل، فالأجدر بنا أن نلوم أنفسنا وأنظمتنا على المآل الذي ألت إليه الأمور في هذه الأمة.

ثم أود الحديث عن نقطة قرأنا عنها في عدة كتب وتناقلتها عدة فضائيات، يذهب الكثير من المحللون إلى القول بأن لو لا الدعم الأمريكي لإسرائيل لما استطعت إسرائيل أن تتجرأ على الدخول مع العرب في حروب ولما بقيت لسنة واحدة في أرض فلسطين ويستدلون على كلامهم بالتالي:

تتلقى إسرائيل حوالي ثلاثة مليار دولار سنويا مساعدة مباشرة كل عام، يخصص 1.8 مليار دولار منها كمساعدات عسكرية، والباقي والذي يمثل 1.2 مليار دولار كمساعدات اقتصادية. ولكن قبل عشر سنوات توصل رئيس الوزراء في حينه بنيامين نتنياهو إلى تسوية مع الكونجرس الأمريكي، يتم بموجبها تقليص المساعدات المدنية بالتدريج إلى أن تنتهي تماماً في عام 2008، وبالتوازي تزداد المساعدات العسكرية بالتدريج، بحيث تبلغ في عام 2008 ما مقداره 2.4 مليار دولار. وتمثل المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل حوالي 20% من إجمالي ميزانية الدفاع الإسرائيلي.

وفي الوقت الذي تحصل فيه الدول المتلقية للمساعدات الأمريكية تلك المساعدات على أربعة أقساط كل أربعة أشهر، تتسلم تل أبيب مخصصاتها المالية بالكامل في بداية كل سنة مالية وبهذا يمكن أن تحصل على فائدة عليها. ومعظم الدول المتلقية للمعونة المخصصة لأغراض عسكرية يطلب منها أن تنفقها بالكامل في الولايات المتحدة، ولكن إسرائيل يسمح لها باستخدام حوالي 25% من المخصص لها لدعم صناعاتها الدفاعية، وهي الدولة الوحيدة التي لا تحاسب على كيفية إنفاق المعونة.

وتتضمن المساعدات الأمريكية لإسرائيل حسب مشروع قرار المساعدات الأمريكية الذي وافقت علية لجنة الإعتمادات بمجالس الشيوخ الأمريكي في يونيو2007، 2.4 مليار دولار مساعدات عسكرية يخصص معظمها لشراء أسلحة من شركات أمريكية، فيما يرصد ربعها لتمويل شراء تجهيزات عسكرية

من شركات أمريكية و40 مليون دولار لمساعدة تل أبيب لاستيعاب المهاجرين من الاتحاد السوفيتي السابق. [124]

والجدول التالي يوضح حجم المساعدات العسكرية الأمريكية الممنوحة لإسرائيل وذلك حسب دراسة للباحثين"Frida Berrigan " و "William D. Hartung" والمعنونة : "المساعدة العسكرية الأمريكية وعمليات نقل الأسلحة إلى إسرائيل: المعونة الأمريكية، وشركات الوقود العسكرية الإسرائيلية U.S. Military Assistance and Arms Transfers to Israel: U.S. Aid, Companies Fuel Israeli Military"عن "معهد السياسات العالمية "

السنة	المساعدات العسكرية
2001	1.975.644.000
2002	2.040.000.000
2003	2.086.350.000
2004	2.147.256.000
2005	2.202.240.000
2006	2.257.200.000
2007	2.340.000.000
الإجمالي	15.048.960.000

وقبل زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية " كونداليزا رايس" ووزير الدفاع " روبرت جيتس" أعلنت الإدارة الأمريكية رغبتها في منح مكافأة لإسرائيل، بزيادة المساعدات العسكرية على مدى السنوات العشر القادمة لتصل إلى 30مليار دولار، وهذه الزيادة التي تبلغ25% من المساعدات الحالية؛ كهدف تعويض تل

[124] أ. عمرو عبد العاطي . منطق مساعدات أمريكا العسكرية لإسرائيل. http://ar.qawim.net.

أبيب عن خسائرها في حربها ضد حزب الله اللبناني والتي استمرت لحوالي 34يوماً، والحفاظ على التفوق الإسرائيلي في الأسلحة المتقدمة عن جيرانها العرب.[125]

تُعطى لإسرائيل هذه المساعدات حد زعمهم تحت عدة مسميات من أبرزها دعم الطرف الأضعف، دعم النظام الديمقراطي، تعويض عن الجرائم السابقة ضد اليهود، الإسرائيليون الأخيار والعرب الأشرار.

فأنا أرى أن أنسب شعار تُضخ تحته الأموال الأمريكية لإسرائيل هو سطوة اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة فلولا قوة اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة لما دفعت أمريكا دولاراً واحد لإسرائيل، وهذه النقطة تحسب لإسرائيل في نقاط القوة التي تتمتع بها إذا ما قارنها بالعرب الذين يضخون النفط والمال وشرفهم من دون أن أي مقابل، وهذه مجموعة من الأدلة التي تؤكد ما قلناه:

تعاظم دور اللوبي اليهودي آيباك في السياسة الأمريكية، وأصبح معترفا به رسميا في مبنى الكابتول كقوة ضغط لها اعتبارها.

وآيباك تحرك أعضائها كجيش منظم يعمل في كل أنحاء الدولة الأمريكية، ويحفزون الأعضاء للمشاركة في كل حملة انتخابية سواء بالعمل التطوعي في الحملة أو بتقديم التبرعات لها بما يؤدي إلى فوز مرشحيها بمعظم مقاعد المجالس النيابية. ويتم تدريب الأعضاء على المهارات الانتخابية وعلى كيفية زيادة فاعلية أموال التبرعات اليهودية لتحقيق أقصى فائدة سياسية. وفي كل حملة انتخابية تطالب آيباك من[126] كل مرشح أن يكتب آراءه تفصيلا حول الشرق الأوسط، والمرشحون لا يمانعون في ذلك لكونهم في حالة من التكالب الساخن للفوز. وبعد أن يكتب المرشحون تفصيل آرائهم الذكورة عن يتم فحص

---

[125] أ. عمرو عبد العاطي - منطق مساعدات أمريكا العسكرية لإسرائيل.
http://ar.qawim.net

[126] إبراهيم الحارتى - الصهيونية من بابل إلى بوش - ص295

ومناقشة كل هذه الأفكار لتحديد الشخصيات الأكثر ميلا لإسرائيل الذين يتم العمل على دفعهم نحو الفوز. وبعد الفوز فإن أعضاء آيباك يقومون بتقديم (استشارتهم وتوصياتهم وطلباتهم) للنواب سواء الديمقراطيين أو الجمهوريين[127].

واستطاعت آيباك أن تكون شبكة هائلة من الإتصالات بالنظام السياسي الأمريكي، واقتحم أعضاؤها عالم السياسة ونجح بعضهم في الوصول إلى المجالس التشريعية. وقد بدأ تعاظم دور آيباك بعد أن تم تعيين توماس داين في أكتوبر 1980مديراً تنفيذيا لها، وكان قد عمل من قبل في الكونجرس مع عدد من الديمقراطيين مثل إدوارد كيندى وفرانك تشيرش، كما عمل في معهد بروكنر للأبحاث، فكانت لديه خلفية قوية حول آلية صنع السياسة الخارجية الأمريكية. وقد اختارته مجلة تايم الأمريكية عام 1984 كأحد أقوى الشخصيات وأكثرها نفوذا في واشنطن.

وفي عهد داين تضاعف عدد أعضاء آيباك خمس مرات، وتضاعفت ميزانيتها عشر مرات حتى وصلت إلى 15 مليون دولار، ووصل عدد العاملين فيها إلى 150شخص. وعملت آيباك مع الجهات التنفيذية داخل الوزارات مباشرة، وأصبحت آلة ضغط، وتضخمت صورتها وسمعتها بعد أن كانت تعمل من وراء الكواليس. وأخذ داين يتحدث علانية عن (النفوذ السياسي لليهود) إيمانا منه بأن السمعة الكبيرة المبالغ فيها تقلل المعارضة لآيباك.

وفي مقابلة مع داين عام 1992 قال أنه يسعى لكي تكون آيباك:

– ذات قاعدة جماهيرية، بحيث يكون خسارة أو كسب الأصوات في قاعدتها وليس في واشنطن.

– أن تكون أكثر اتصالا وتأثيراً على عملية صنع القرار السياسي، وهذا يعني المؤسستين التشريعية والتنفيذية.

[127] المرجع نفسه 295

– أن تكون أكثر تعبيراً عن اليهود، وهذا يعني توسيع دائرة المشتركين في صنع السياسة الأمريكية.

وقد قام داين بتوزيع العمل على أعضاء آيباك المائة والخمسين:

– فخصص ستة أفراد فقط للتفرغ لعملية الضغط ومقابلة أعضاء الكونجرس من أجل المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل وللتأثير على أصواتهم.

– أما باقي الأعضاء فقسمهم إلى ثلاثة فرق:

1– فريق الأبحاث وإمداد أعضاء المنظمة بالمعلومات حول قضايا الشرق الأوسط، بداية من حقوق المياه وحتى تكنولوجيا الصواريخ[128].

2– وفريق يعمل على نشر سلسلة من الكتيبات والنشرات الصحفية مثل Near East Report التي تشمل عرضا وتحليلا للأنباء المتعلقة بإسرائيل، ويقدمونها لأعضاء الكونجرس.

3– وفريق يختص بالإدارة والتمويل، وجمع التبرعات اللازمة لاستمرار دوران عجلة المنظمة، رغم أن التبرعات (المباشرة) لآيباك لا يمنح أصحابها إعفاءات ضريبية بخلاف المنظمات اليهودية الأخرى.

ويذكر جولدبيرج في كتابه قوة اليهود في أمريكا أنه:

–تم تعيين ستيفن جروسمان اليهودي الديمقراطي رئيسا لآيباك في عام 1992 وذلك بعد نجاح كلنتون الديمقراطي، خاصة وأنه المدير المالي لحملة كلنتون الانتخابية. ولكن جروسمان لم يستطع السيطرة على آيباك بسبب الأربعة الذين كانوا في قيادتها ويذعن لهم باقي الأعضاء، وهم واينبرج، وآشر، وليفي، ومتشل

[128] إبراهيم الحارثي - الصهيونية من بابل إلى بوش - ص296

ويطلق عليهم عصابة الأربعة. ولأن من يتزعم آيباك يجب أن يكون أحد أعضاء الدائرة الداخلية التي تحكمها والذين يطلق عليهم اسم (الضباط)[129].

وقد قررت مجموعة الضباط في يونيو عام 1993 التخلص من داين المدير التنفيذي للمنظمة، وأعلنوا أن ذلك يرجع لإساته لليهود الأرثوذكس في كتاب عن السياسة الإسرائيلية ذكر فيه أن الأرثوذكس رائحتهم كريهة. وذكرت الصحف الإسرائيلية أن رابين هو الذي دبر خروج داين لتصفية صقور الليكود. ولكن يبدو أن السبب الحقيقي لإقصاء داين أن الضباط وجدوا أن شخصية مستقلة أكثر من اللازم.

وتم اختيار نيل شير، الذي كان يشغل سابقاً رئيس مكتب التحقيقات الخاصة بالنازي بوزارة العدل، خليفة لداين. ورغم أن شير كانت له مصداقية عالية لدى يهود أمريكا، وله خبرة في الإدارة الفدرالية، إلا أنه لم يكن لديه خبرة كافيه شؤون الشرق الأوسط.

وعندما تم توقيع إتفاقية السلام بين عرفات ورابين عام 1993، قام روبرت آشر (أحد عصابة الأربعة) بالتحرك داخل الكونجرس لحشد المعارضة ضد الاتفاقية والمبادرات الأمريكية التي تدعمها مما أدى إلى نشوء خلافات مع جروسمان. فقامت عصابة الأربعة بالإطاحة بجروسمان ثم انسحب نيل شير من منصبه في عام 1996 وحل محله هواردكور.

ويعتبر المؤتمر السنوي الذي تعقده آيباك في أحد فنادق واشنطن أهم أحداث العام للمنظمة. حيث يشترك فيه نشطاء اليهود، ويجتذب حفل العشاء الذي يقام فيه المئات من أعضاء الكونجرس، والعشرات من السفراء الأجانب. حيث (حسب جولدبيرج) يتحين كل منهم الفرصة للإعراب عن نواياه الطيبة تجاه آيباك ويهود أمريكا[130].

---

[129] المرجع نفسه ص297

[130] إبراهيم الحارتى - الصهيونية من بابل إلى بوش - ص298

ويقول جولدبيرج في كتابه عن المدى الذي وصلت فيه قوة اليهود في أمريكا بأنه يمكن استشعار قوة اليهود في مجالات واسعة داخلية، مثل الهجرة، واللاجئين، والحقوق المدنية، وحق الإجهاض، وفصل الكنيسة عن السلطة السياسية، وغيرها الكثير. وقد أصبحت الطائفة اليهودية.. أحد اللاعبين الأساسيين في وضع القواعد في أمور عديدة[131].

في الفقرات التالية سوف نورد بعض ما حققته اليهود من قرارات ومصالح في عهود الرؤساء الأمريكيين وتغلغلهم في السلطة وصناعة القرار اعتبارا من عصر الرئيس كينيدي. ج، جولدبيرج في كتابه قوة اليهود في أمريكا.

في عصر جون كينيدي(1961-1963)

- بعد انتخابه قال كينيدي لبن جوريون:{ أعلم جيداً أنني انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين، وأنا مدين لهم بإنتخابي، فقل لي ما الذي يجب عليا أن أفعله من أجل الشعب اليهودي؟}.

- وكان كينيدي أول رئيس يعقد صفقة سلاح مع إسرائيل وتسلمتها في عهد جونسو.

- وكان ضمن إدارة كينيدي عضوان يهوديان هما آرثر جولدبرج وزير العمل، وإبراهام ريبكوف وزير الصحة والتعليم. وقد عملا بالتنسيق مع مدير منظمة الزعماء يهودا هيلمان على وضع استراتيجية لشحن وتحريك يهود أمريكا. ويعتبر آبا إيبان أن آرثر جولدبرج هو أحد إثنين حققا قوة حقيقية لليهود في الولايات المتحدة أما الثاني فهو هنري كيسنجر.

- في ديسمبر عام 1960 عندما تكشفت خطط إسرائيل النووية لبناء مفاعل ديمونة بصحراء النقب حتى عام 1985 بمعاونة فنية ومالية مع فرنسا. قام الرئيس كينيدي بإيفاد اثنين من العلماء الأمريكيين لإسرائيل في جولة للتأكد

131 المرجع نفسه ص298

من مزاعم إسرائيل بأنه للأغراض السلمية فحسب. وفي 1963 تزايدت شكوك كينيدي في تقارير الخداع الإسرائيلية، فكتب مذكرة سرية مدونة في اجتماع مجلس الأمن القومي طلب فيها من وزارتي الدفاع والخارجية ومن جهاز المخابرات المركزية ولجنة الطاقة النووية تكثيف جمع المعلومات عن البرنامج النووي الإسرائيلي.

وفي 18 مايو عام 1963 كتب كينيدي إلى بن جوريون رسالة حذره فيها من أن العلاقة بين البلدين يمكن أن تتعرض لأزمة خطيرة ما لم تحصل واشنطن على معلومات صادقة وموثقة عن البرنامج النووي الإسرائيلي.

وبعد بضعة أشهر لقي كينيدي مصرعه في حادث ا الاغتيال الشهير الذي ما يزال لغز الجهة المرتكبة ومن هو القاتل دون حل حتى الآن ..؟!

في عهد ليندون جونسون(1963–1969)

–كان جونسون أول رئيس أمريكي يستقبل بصفة رسمية رئيساً لوزراء إسرائيل، حيث استقبل ليفي أشكول في البيت الأبيض عام 1964 وقد نمت العلاقة الأمريكية الإسرائيلية منذ ذلك الحين [132].

ويقول ج. جولدبيرج بأن ذلك يرجع جزئيا إلى: (إعجاب ليندون جونسون بدولة إسرائيل وبرئيس وزارتها يومئذ ليفي أشكول)

– قام بتسليم صفقة السلاح التي عقدها كيندي إلى إسرائيل عام 1964.

– أقر صفقة سلاح أخرى عام 1966 تضمنت طائرات حربية حديثة. ثم أصبح هناك خط إمداد عسكري ضخم إلى إسرائيل منذ ذلك العهد.

– قام آرثر جولدبيرج(الذي استمر وزيراً) بالترتيب مع مدير منظمة الزعماء على تنظيم مسيرة من يهود أمريكا في نيويورك للاحتجاج بالنسبة لموضوع يهود روسيا عام 1963. ثم تم عقد مؤتمر لمدة يومين عام 1964 في واشنطن

[132] إبراهيم الحارتي - الصهيونية من بابل إلى بوش - ص 299

ورأسه رئيس منظمة لجنة يهود أمريكا موريس أبرام، وكان المتحدث الرئيسي في المؤتمر آرثر جولدبيرج، وقرر المؤتمر اعتبار نفسه جهازاً دائما باسم (المؤتمر القومي من أجل يهود روسيا). ولكن في عام 1970 (بعد انتهاء رئاسة جونسون) فتر حماس المنظمات لهذا المؤتمر ثم أعيد تنظيمه عام 1971.

– وآرثر جولدبيرج هو الذي أصر في مجلس الأمن عام 1967 على أن ينص قرار 242 على انسحاب إسرائيل من (أراض) بدون الألف واللام، وكان حينئذ يعمل بمفرده عندما كانت إدارة جونسون غارقة في مستنقع فيتنام. كما جعل قرار الانسحاب الإسرائيلي جزاء من اتفاق شامل، مما لا يؤدي إلى مطالبة إسرائيل بانسحاب أحادي الجانب. وتمكنت إسرائيل من الانتظار حتى يتم الحصول على اعتراف بدولتهم قبل مناقشة الانسحاب.

وقد شغل آرثر جولدبيرج فيما بعد منصب قاضي المحكمة العليا الأمريكية.

في عهد ريتشارد نيكسون(1969–1974):

– في عهد نيكسون منحت المناصب العليا للجمهوريين من القيادة اليهودية المنظمة لأول مرة منذ أجيال، حيث أصبح مليونير البترول ماكس فيشر.. وهو أحد جامعي التبرعات للحزب الجمهوري، هو المتحدث باسم اليهود الأمريكيين في أوائل السبعينات...وأصبح المحافظون من اليهود يكثرون الحديث حول عهد جديد من الواقعية يشرق على النشاط السياسي لليهود[133].

– وكان هنري كيسنجر اليهودي مستشاراً للأمن القومي في عهد نيكسون. تم تعيينه وزيراً للخارجية في أغسطس عام 1973 خلفا لروجرز وحسبما أورده الأستاذ محمد حسين هيكل في كتابه {أكتوبر73–السلاح والسياسة } فإن روجرز قال للأستاذ هيكل عن كيسنجر:{ هنري كيسنجر ولاءاته لنفسه ثم لنفسه

---

[133] إبراهيم الحارثي - الصهيونية من بابل إلى بوش– ص300

ثم لنفسه، ثم لأي سيد يستعمل خدماته، ثم لأمته}. ولما قال له هيكل{ إن ولاءه لأمته سوف يجعله يعرف[134] أن مصالح الولايات المتحدة كلها مع العرب} قاطعه روجرز قائلا: { ماذا تقول؟ أمته ليست الأمريكية، ولاؤه لليهود}.

– وقد قاد كيسنجر السياسة الخارجية الأمريكية في ذروة أزمة الشرق الأوسط التي شهدت نشاط العمليات الفلسطينية المسلحة، وحرب أكتوبر 1973، والحظر البترولي العربي، واتفاقية فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل. وقد تمكن من إدارة هذه الأمور بمفرده في حرب أكتوبر عندما كان نيكسون غارقا لأذنيه وقد أصابه الشلل بسبب فضيحة ووتر جيت التي أدت به إلى الاستقالة في9 أغسطس عام 1974.

– ويقول الأستاذ هيكل في كتابه (أكتوبر73...) أن كيسنجر كان قد قدم إلى نيكسون في عام 1971 تقريرا عن أزمة الشرق الأوسط كتقييم للموقف ورد فيه: {... إن التوصل إلى حل سوف يقتضي ضغطا شديدا على إسرائيل لكي ترضى بالانسحاب من الأراضي المحتلة، وهذا الحجم من الضغط لا يقدر عليه الرئيس خصوصا وهو مقبل في السنة القادمة (1972) على إعادة ترشيح نفسه للرئاسة لمدة ثانية}.

– يعتبر كيسنجر هو أحد الاثنين اللذين قال عنهما (أبا إيبان) أنهما قد حققا قوة حقيقية لليهود في الولايات المتحدة. وهو يتمتع بتقدير عال من جانب اليهود. وكان قد فقد عددا من عائلته على يد النازي.

– أدى النفوذ اليهودي في أمريكا إلى أن يجعل بعثات التفتيش التي استمرت في مراجعة النشاط النووي الإسرائيلي حتى عام 1969 تقرر عدم الوصول إلى أي دليل مباشر على وجود أي نشاط نووي غير سلمي في مفاعل ديمونة.

---

[134] المرجع نفسه ص 301

– ثم ساعد كيسنجر جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية وسعى لدى نيكسون حتى تم عقد مذكرة تفاهم بين الولايات المتحدة وإسرائيل عام 1970تقضي بغض الطرف الأمريكي عن تطوير إسرائيل لأسلحتها النووية. وهذه المذكرة ما تزال سارية وتحكم توجهات الإدارة الأمريكية في هذا الموضوع وتحريضها على حماية البرنامج النووي الإسرائيلي واستبعاده من أي مفاوضات أو تفتيش دولي أو إقليمي...!!؟[135]

– وفي عام 1971 أعيد تنظيم(المؤتمر القومي من أجل يهود روسيا). وتم عقد اجتماع للمؤتمر عام 1972 حضره النائب الديمقراطي جاكسون وقدم مشروعا عن هجرة اليهود السوفييت لإسرائيل كان قد وضع خطوطه اليهودي بيرترام بوديل وقدمه إلى مدير آيباك وعضو اللوبي الذي عرض مسودته على ريتشارد بيل الذي عرضها على جاكسون ذي النفوذ في الكونجرس. في نفس الوقت تم عمل الاتصالات مع أعضاء الكونجرس الديمقراطي للحصول على تأييدهم.

– في أوائل أكتوبر 1973 التقى جاكسون مع نيكسون في البيت الأبيض حيث ناقش الموضوع معه وقد حاول نيكسون تجنب المشروع بمساعدة كيسنجر لعدم عرقلة الانفراج مع روسيا، إلا أنه عندما[136]

حصل المشروع على إقرار النواب له بأغلبية كبيرة تحول كيسنجر لتأييد المشروع.

– في عهد نيكسون أيضا نما اللوبي اليهودي (آيباك)، وأصبح يوظف 150 شخصا بعد أن كانوا ثلاثة عاملين فقط، وأصبحت ميزانية هذه المنظمة 15 مليون دولار سنويا، وتضاعف عدد الأعضاء اليهود النواب في الكونجرس ثلاث مرات.

---

[135] إبراهيم الحارثي - الصهيونية من بابل إلى بوش–ص301

[136] المرجع نفسه ص 302

– ويقول الأستاذ هيكل في كتابه (أكتوبر 73) أنه ورد في تقرير من إسماعيل فهمي وزير خارجية مصر إلى الرئيس السادات عن مقابلته مع الرئيس الأمريكي نيكسون في أول نوفمبر 1973 ما يلي:" طلب مني نيكسون أن أنقل إلى سيادة الرئيس أنه في تاريخ الولايات المتحدة الحديث، لم يوجد أي من الرؤساء الأمريكيين من يستطيع أن يأخذ قرارات لا تتمشى مع مصالح إسرائيل، وذلك للضغوط الداخلية في الكونجرس وفي الدوائر اليهودية ونفوذها وأموالها".

في عهد جيرالد فورد(1974–1977)

– استمر كيسنجر في عهد فورد كوزير للخارجية في تقديم كل الدعم السياسي والمادي لإسرائيل ودعم بقوة وبدهاء الجانب الإسرائيلي في مفاوضاته مع مصر.

في عهد جيمي كارتر (1977–1981)

–تمت في عهده محادثات السلام بين مصر وإسرائيل، وتمت ترتيبات للمفاوضات في كامب ديفيد بين الرئيس المصري أنور السادات الإسرائيلي ومناحم بيجن.[137]

في عهد رونالد ريجان (1981–1989)

–عندما كان الكونجرس في أوائل الثمانينات يسعى إلى اتخاذ قرار يجبر الرئيس على سحب قوات المارينز من بيروت طلب ريجان بنفسه من منظمة آيباك المساعدة لمقاومة القرار. وبالفعل حصل ريجان على ما أراد بعد أن اتصل اللوبي اليهودي بعدد من أعضاء مجلس الشيوخ. وقد ساعد اللوبي اليهودي إدارة ريجان في العديد من الموضوعات الأخرى كذلك.

في عهد جورج بوش الأب (1989–1993)

---

[137] إبراهيم الحارتي - الصهيونية من بابل إلى بوش–ص303

–في عهده كان الكثيرون من مساعديه للشرق الأوسط من اليهود وكانوا يصرون على الأهمية الكبيرة والإنسانية لإحلال السلام في الشرق الأوسط حسبما يرونه ويشرونه به، وكان من مساعدي الرئيس اليهوديان جاي ليفتوكوفيتش، وبوبي كيلبرج.

–وكان جيمس بيكر وزير الخارجية في حكومة بوش غير يهودي، ولكنه أحاط نفسه بطاقم من الخبراء في شئون الشرق الأوسط تحت رئاسة اليهودي دينس روس مدير التخطيط السياسي في مكتب بيكر[138]

–في سبتمبر عام 1991 احتشد في واشنطن ما يقرب من ألف وثلاثمائة شخص من زعماء المنظمات اليهودية في أمريكا مكون من حاخامات وأساتذة ومحامين وعاملين بالحقل الاجتماعي ورجال المال والأعمال، وجاءوا ليناقشوا مع نواب الكونجرس إعطاء ضمانات لقروض تجارية لإسرائيل بمبلغ عشرة مليار دولار على مدى خمس سنوات الموالية، وذلك لتمويل بناء مستوطنات للتيار المتدفق من اليهود القادمين من الاتحاد السوفيتي (بعد انهياره) إلى إسرائيل. وأن هذه القضية يجب ألا تكون رهينة (الأوهام السياسية) لصنع السلام في الشرق الأوسط.

وكان بوش في ذلك الحين يمهد لعقد مؤتمر مدريد للسلام بعد مجهودات شاقة، فطلب تأجيل المسألة لمدة 120 يوم لعدم التأثير على هذه المجهودات. وعندما حدث الحشد والمظاهرة المذكورة غضب بوش وخطب في 12 سبتمبر 1991، وقال بصوت عال غاضب وقوي بأنه في مواجهة (بعض القوى السياسية) التي تسعى لتعويق إرادته، ودق بكفه بقوة على المنضدة قائلا:{ لقد سمعت أن هناك حوالي ألف من جماعات المصالح تسعى لإقرار ضمانات القروض، ولدينا الآن رجل وحيد في البيت الأبيض يعمل من أجل السلام}.

---

[138] المرجع نفسه ص 305

وكان من الواضح أن الكونجرس قبل خطاب بوش كان على وشك اعتماد ضمانات القروض بدون موافقة الرئيس الأمريكي.

– وقد أحدثت خطبة بوش وكلماته الأثر المطلوب منها فتبخر تأييد الكونجرس لضمانات القروض في ليلة واحدة، ووافقت زعامتا مجلسي الشيوخ والنواب على مطلب الرئيس بتأجيل المسألة لمدة أربعة أشهر.

– وتلقى البيت الأبيض صباح اليوم التالي لخطاب بوش ولمدة ما يزيد عن ثلاثة أيام سيل من البرقيات والمكالمات للتهنئة ولمدح الرئيس على نجاحه في وضع اليهود في مكانهم الصحيح.

– وكانت رئيسة مؤتمر الزعماء في ذلك الحين شوشانا كاردين (التي انتخبت عام 1990 خلفا للحاخام ألكسندر شندلر)[139] حيث قامت بالدعوة إلى مؤتمر صحفي عقب خطاب بوش مباشرة انتقدت فيه خطاب الرئيس وهجومه على حقوق المواطنين التي تعد حجر الزاوية في الديمقراطية الأمريكية...؟؟ ولكن لم يحضر هذا المؤتمر عدد كبير من الصحفيين. فقامت شوشانا بإرسال رسالة إلى الرئيس جاء فيها: " كرئيسة لتنظيمات المجتمع اليهودي، فإنني أحمل تقديراً كبيراً لجهود الرئيس لمساعدة اليهود ضد الأخطار في روسيا وأثيوبيا. ومع ذلك فإن ملاحظتكم التي بثها التلفزيون في اليوم السابق تبعث على الانزعاج، وتثير سوء الفهم"

فكتب لها بوش يوم 17سبتمبر 1991ردا جاء فيها ما يلي:

{ إنني أشعر بالقلق باتجاه ما سببته بعض تعليقاتي أثناء المؤتمر الصحفي الذي عقد يوم الخميس من مخاوف لدى الطائفة اليهودية. إن إشارتي تجاه القوى السياسية المؤثرة لم يكن مقصودا بها على[140] الإطلاق نوعا من

---

[139]إبراهيم الحارثي - الصهيونية من بابل إلى بوش–ص307

[140] إبراهيم الحارثي - الصهيونية من بابل إلى بوش –ص308

الازدراء. وإنني كمسئول حكومي وسياسي لفترة طويلة أحترم تماما حرية التعبير في العملية الديمقراطية }

وقامت منظمة الزعماء بنشر الخطابين المتبادلين في مئات من الصحف الخاصة بالطائفة اليهودية على الفور.

-وساومت شوشانا بوش على قيامه بإقرار ضمانات القروض مقابل تأييد اليهود له في انتخابات الرئاسة القادمة. ولكن بوش أصر على الرفض. وكان عقاب بوش هو هزيمته في أول انتخاباته رئاسية تالية وعدم تصويت اليهود لصالحه.

في عهد بيل كيلنتون (1992-2000)

-زادت سيطرة اليهود على المناصب الحساسة في حكومة كلنتون، وزاد عددهم زيادة كبيرة ومن أشهرهم:

*نائب الرئيس الأمريكي: آل جور.

*مستشار الرئيس للأمن القومي: صموئيل بيرجر.

*المبعوث الرئاسي لشئون الشرق الأوسط: دنيس روس.

*وزيرة الخارجية: مادلين أولبرايث (وتم تعيين عدد كبير من اليهود في هذه الوزارة حتى أصبحت كأنها وزارة خارجية لليهود)

*وزير الدفاع: وليام كوهين (يحاولون تخفيف لفظ الاسم في بعض الإذاعات إلى كوين بدلا من كوهين إخفاء للهوية كالمعتاد)

*فضلا عن عصبة كبيرة من اليهود في مختلف الوظائف خاصة في الإدارة الوسطى[141].

-وقد أوقع اليهود كلنتون في مستنقع التحقيقات في موضوع مونيكا لوينسكي وممارساته الجنسية معها ومع غيرها أثناء وقبل مباشرة رئاسته في البيت الأبيض، وذلك لإضعاف أي معارضة للرئيس تجاه ممارسة حكومة الليكود

---

[141] المرجع نفسه ص308

ونتانياهو ضد مسيرة السلام وما تحقق منها. وكان ذلك أيضا بعد أن تجرأ كلنتون ورفض مقابلة نتانياهو عند زيارته لأمريكا، وبعد محاولته ممارسة الراعي المحايد للسلام، وبعد مطالبته إسرائيل بعدم اتخاذ أي إجراءات تؤدي للإخلال باتفاق أسلو بدلا من الخضوع الكامل للحكومة برئاسة نتانياهو ورغباته وشروطه وخططه للسلام الذي يراه.. !!

–ويؤكد أن الفضيحة مدبرة ولم تكن محض مصادفة عوامل عديدة ناطقة منها:

– أن الصدفة لا يمكن أن تجمع في قضية واحدة كل العناصر اليهودية التالية:

*وولتر كاي: الصهيوني الذي كان يمول حملة كلنتون الانتخابية، والذي أوصى بمونيكا للعمل.[142]

كمتدربة في البيت الأبيض.

*مونيكا لوينسكي: اليهودية المتدربة في البيت الأبيض، والتي أثبت التحقيق أن الرئيس كان يتهرب منها في كثير من الأحيان، ولكن كانت تلح عليه وتغريه بأساليب مكشوفة. وأثبت أيضا أن علاقتها مع كلنتون بدأت في 15نوفمبر 1995 (قبل انتخابه لفترة ثانية) عندما كان سنها 22 عاما وبدون أي إكراه.

*لوسيان جولدبيرج: الصحفية اليهودية التي أثارت الفضيحة. وكانت الصحفية التي بدأت في النشر هي صحيفة واشنطن بوست الخاضعة للنفوذ اليهود.

*كينيث ستار: اليهودي رئيس فريق التحقيق.

*كما كان أغلب الشهود وصديقات مونيكا يهوديات، وكانت بولا جونز أول من اتهمت كلنتون بالتحرش بها جنسيا أيضا يهودية.

كل هذا التجمع اليهودي وغيره يؤكد ويشير إلى المؤامرة اليهودية، ويزيد ذلك تأكيداً:

---

[142] إبراهيم الحارتي - الصهيونية من بابل إلى بوش– ص310

-أن مونيكا ذكرت في التحقيق تفصيلا دقيقا بالساعة والتاريخ للقاءات جنسية تمت مع كلنتون على مدى ثلاثة سنوات...؟؟!! وحددت مكان كل لقاء وأنها عشر مرات ...فمن تستطيع عمل هذا الحصر الدقيق خلال هذه الفترة إلا إذا كان مخططا يتم تسجيله...؟

-قدمت مونيكا إلى المحقق ستار فستان أزرق يوم28 يوليو 1998، وأفادت بأن عليه السائل المنوي للرئيس كلنتون ناتج من اتصاله التاسع بها يوم الجمعة 28 فبراير 1997، وقد أثبت التحليل مطابقة البقعة لسائل الرئيس. ومعنى ذلك أن مونيكا احتفظت بهذا الفستان (ليكون دليلاً) لأكثر من عام ونصف لديها وعليه البقعة فياله من تخطيط ...[143]

في عهد بوش (2001-2008)

لا يوجد تعبير دقيق ومختصر يصف حكومة بوش الصغير وبطانته وسياسته سوى أن نقول إنه لو كان شارون أو نتانياهو وحكوماتهم هم الذين بيدهم وفي سلطتهم حكم الولايات المتحدة الأمريكية، لما مارسوا ذلك بأكفأ مما تقوم به حكومة بوش الصغير وبطانته وبما يخدم الخطط والسياسات الإسرائيلية .

وعن مدى سيطرة الصهاينة على حكومة بوش الصغير أوردت الكاتبة الصحفية المتميزة مها عبد الفتاح في مقال لها بجريدة أخبار اليوم الصادرة أول مارس 2003 تحت عنوان بليغ يدل على المضمون (أمريكا مخطوفة ورهينة لدى هؤلاء وبالأسماء) وقدمت في المقال قائمة أمدتها بها مصادر في واشنطن عن أسماء واحد وثلاثين عضوا هاما في حكومة بوش الصغير يهيمنون على قراراتها وجميعهم من اليهود الصهاينة المؤيدين لإسرائيل بتشدد وأوضحت موقع كل منهم في أعصاب تلك الحكومة وفيما يلي بيان هؤلاء الأعضاء كما وردت بالمقال:[144]

---

[143] المرجع نفسه ص311

[144] إبراهيم الحارتي - الصهيونية من بابل إلى بوش– ص 312

1-ريتشارد بيرل يودي: الأب الروحي لغزو العراق ويرأس المجلس السياسي البنتاجون " وزارة الدفاع" وأحد مستشاري الرئيس الأمريكي ....وماضيه يشهد عليه بأنه رفض من هيئة مكتب سناتور هنري جاكسون في عام 1970 بعد أن ضبط من قبل وكالة الأمن القومي " NASA" وهو يمد السفارة الإسرائيلية بوثائق عن الأمن القومي على أعلى قدر من الحساسية. بعدها اشتغل لدى شركة إسرائيلية لإنتاج السلاح " صولتام "

2-بول وولفريتز: نائب وزير الدفاع وعضو في المجلس السياسي الذي يرأسه بيرل ومقرب منه وله اتصالات معروفة بدوائر العسكرية الإسرائيلية ... ويعتبر ثاني أعلى الأصوات في كورس الحرب ضد العراق.

3-دوجلاس فيث: وكيل وزارة الدفاع ووثيق الصلة مع بيرل وكان مساعداً له ومتطرفاً مثله في تأييد سياسات إسرائيل وله كتابات عديدة على مدى السنين عن الصراع العربي الإسرائيلي وهو مؤيد أيضا لفكرة ضم إسرائيل الضفة الغربية باعتبار حيازتها لها خلال حرب الأيام الستة...[145]

4-إدوارد لوتراك: عضو مجموعة دراسات الأمن القومي بوزارة الدفاع وسبق له التدريس في إسرائيل ويتردد أنه يحمل الجنسية الإسرائيلية وكثيرا ما يكتب مقالات في الصحف الإسرائيلية ويعتبر من غلاة الداعين إلى ضرورة شن الحرب على العراق.

5-هنري كيسنجر: وحاليا هو من مستشاري وزارة الدفاع أي عضو في المجلس السياسي " إياه " التابع للبنتاجون الذي يرأسه بيرل.

6-دوف زاكهايم: وكيل وزارة الدفاع المسئول عن المالية ... وهو حاخام (راباي) ولديه جنسية إسرائيلية سبق والتحق بكلية يهودية في لندن عام 1973 وتم ترسيمه فيها كرجل دين أورثوذوكس أي (متشدد) وفوق منصبه الحالي

---

[145] المرجع نفسه ص 313

يعمل كمساعد أستاذ غير متفرغ بجامعة " يشيفا " اليهودية بنيويورك ومن أقرب المقربين إلى اللوبي الإسرائيلي في واشنطن ونيويورك.

7–**كينيث أديلمان:** أحد مستشاري البنتاجون وعضو بالمجلس إياه الذي يرأسه بيرل " كل الطرق تؤدي إلى بيرل " وهو الآخر متطرف الآراء ومتحمس للحرب ضد العراق[146].

8–**لويس ليببي:** مدير مكتب ريتشارد نائب الرئيس الأمريكي ومن أهم الأصوات التي تؤيد إسرائيل وأقربها إلى أذن تشيني.[147]

9–**رويرت ساتلوف:** عين في عهد هذه الإدارة مستشارا بمجلس الأمن القومي وكان في التسعينات مديرا الأهم مركز دراسات وبحوث يموله أغنياء الأمريكيين اليهود وهو معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى. وهذا المركز يعتبر معقل الفكر الإسرائيلي –الأمريكي.

10–**اليوت ابرامز:** مستشار بمجلس الأمن القومي وكان مساعدا لوزير الخارجية على عهد الرئيس ريجان وله ضلع في فضيحة إيران–كونترا ولأنه خدع ثلاثة من لجان الكونجرس فقد حكم عليه عام 1991 مع وقف التنفيذ ووضع تحت الرقابة لمدة عام بالإضافة إلى العمل لمائة ساعة في عمل تطوعي من أجل المجتمع.. بعدها بعام منحه الرئيس بوش " الأب " عفواً شاملاً ...ومعرف عن هذا الرجل تأييده القؤي لإسرائيل.

11– **مارك جروسمان:** وكيل وزارة الخارجية للشئون السياسية وهو واحد من اليهود العديدين الموالين لإسرائيل في إدارة كلينتون ولكن الإدارة الحالية استبقته أي إدارة بوش الصغير.

12–**ريتشارد هاس:** مدير التخطيط السياسي بالخارجية ومدير برامج الأمن القومي وهو من المعروف عنهم تأييدهم القوى لإسرائيل منذ إدارة بوش الأب

---

146 المرجع نفسه ص314

147 إبراهيم الحارتى - الصهيونية من بابل إلى بوش– ص 315

ومن المؤيدين بشدة لضرب العراق كما أن له مقعدا في مجموعة دراسات الأمن القومي بالبنتاجون.

13- **رويرت زويلك:** منصبه في وزارة التجارة يعادل درجة وزير وهو أحد المنادين بغزو العراق واحتلاله إلى حين إقامة حكم موال لأمريكا.

14- **أري فليشر:** المتحدث الرسمي للبيت الأبيض وهو من المرموقين في الجالية اليهودية ويتردد أنه يحمل هو الآخر جنسية الإسرائيلية وله علاقة وثيقة مع جماعة يهودية متطرفة معروف تعصبها إلى درجة رمي غير اليهود بنعوت مهينة وحصل على جائزة من جماعة يهودية متطرفة في شهر أكتوبر 2001.[148]

15- **جيمس شليزنجر:** أحد مستشاري البنتاجون وعضو في المجلس الذي يرأسه بيرل ومؤيد بشدة لإسرائيل ولضرب العراق.

16- **مل سلمبر:** رئيس بنك الاستيراد والتصدير المسئول عن التسهيلات التجارية مع الدول الأجنبية.

17- **مايكل تشرتوف:** مساعد المدعي العام الجنائي.

18- **جواشوا بولتون:** مدير السياسات لدى الرئيس بوش.

19- **ستيف جولدسميث:** أحد كبار مستشاري.

20-**آدم جولدمان:** ضابط الاتصال بين البيت الأبيض والجالية اليهودية.

21-**مارك واينبرجر:** مساعد وزير مالية.

22-**صامويل بودمان:** نائب وزير التجارة.[149]

23- **روث دافيز:** مدير معهد السياسة الخارجية التابع لمكتب وكيل وزارة الخارجية.

24- **لنكولن بلومفيلد:** مساعد وزير الخارجية للشئون السياسية- العسكرية.

---

[148] المرجع نفسه ص315

[149] إبراهيم الحارتى - الصهيونية من بابل إلى بوش– ص 316

25- **كن ميلمان:** مدير السياسات في البيت الأبيض.

26- **براد بليكمان:** مسئول المواعيد في البيت الأبيض.

27- **بوني كوهين** : وكيل وزارة الخارجية للشئون الإدارية.

28- **جوزيف جيلدنهورن:** المسؤول المالي عن حملة بوش الانتخابية.

29- **كريستوفر جيرستن:** مدير سابق لشئون التحالف اليهودي مع الحزب الجمهوري وهو نائب مساعد وزارة العائلة والأطفال.

30- **جاي ليتفكويتز:** مستشار لمكتب إدارة الميزانية.

31- **دافيد ويرمز:** مساعد وكيل الخارجية[150].

قرارات الكونجرس الأمريكي تعطي المطالب الإسرائيلية الأولوية في حالة تعارضها مع المصالح الأمريكية نتيجة للضغوط والإغراءات والتهديدات من جانب اللوبي اليهودي، ومثال على ذلك موافقة الكونجرس بأغلبية 98بالمائة على قرار بإلغاء كل القيود على المبادلات بين إسرائيل والولايات المتحدة، وذلك بالرغم من معارضة جميع النقابات.

وفي عام 1973 استدعى السناتور فولبرايت (رئيس لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي) عددا من كبار قادة الصهاينة أمام إحدى اللجان للتحقيق في أنشطتهم السرية. وفي حديث تليفزيوني يوم 7أكتوبر 1973 لخص فولبرايت نتيجة التحقيق وقال:

{ إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة الكونجرس ومجلس الشيوخ، وإن حوالي 70 بالمائة من زملائنا في مجلس الشيوخ يعترفون بأن المواقف والقرارات التي يتخذونها لا تنبع من رؤيتهم الخاصة لما يرون من مبادئ الحرية والعدالة، بقدر ما تنبع من الضغوط التي تمارسها جماعات النفوذ...} وقد فقد فولبرايت مقعده أول انتخابات تالية.

---

[150] المرجع نفسه ص316

وفي كتاب (الجلسات) الجزء التاسع (مايو 1963) يقول بول فندلي:
{...إن كل من يقدم على انتقاد سياسة إسرائيل يجد نفسه عرضة لأعمال انتقامية شديدة ودائمة، بل ويفقد مصدر عيشه نتيجة ضغوط قوى النفوذ الإسرائيلية. فالرئيس يشعر بالخوف منها. والكونجرس يستجيب لكل مطالبها. بل وتحرص أعرق الجامعات ألا يكون في مناهجها التعليمية ما قد يثير حفيظة تلك القوى بينما تنتقاد وسائل الإعلام الضخمة والقيادات العسكرية لما تمارسه من ضغوط...} [151]

التأثير في الكونغرس

من ركائز نجاح اللوبي الأساسية أنه ذو تأثير في كونغرس الولايات المتحدة. حيث تبقى إسرائيل شبه محصنة ضد الانتقاد. وهذا بحد ذاته وضع لافت للنظر، لأن الكونغرس يكاد لا يتردد قط في اقتحام القضايا الأخلاقية. ثمة على الدوام نقاش محموم في مبنى البرلمان سواء أكان الموضوع المطروح : الإجهاض، التحرك الإيجابي، الرعاية الصحية، أو الرفاه. أما حين يكون الأمر متعلقاً بإسرائيل فإن المنتقدين المحتملين يلوذون بالصمت وليس ثمة أي جدل بالمطلق.

من أسباب نجاح اللوبي مع الكونغرس أن بعض أعضائه الرئيسين صهاينة مسيحيون مثل ديك آرمي الذي قال في أيلول/سبتمبر 2002:{ إن الأولوية رقم واحد في السياسة الخارجية هي حماية إسرائيل حسب ما أرى. يتبادر إلى الذهن أن الأولوية الأولى بالنسبة إلى أي عضو كونغرس ينبغي أن تكون حماية أمريكا غير أن ذلك ليس هو ما قاله آرمي. ثمة أيضا شيوخ ونواب يهود عاكفون على توظيف سياسة أمريكا الخارجية لدعم مصالح إسرائيل.[152]

---

151 إبراهيم الحارتى - الصهيونية من بابل إلى بوش– ص 318

152 جون جي .ميرشايمر / ستفن إم .والت – أمريكا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية ص63

يشكل موظفو جهاز العاملين في الكونغرس الموالون لإسرائيل مصدراً أخر من مصادر نفوذ اللوبي. ففي إحدى المرات قال رئيس سابق للايباك يدعى موريس آميتاي: يوجد عدد كبير من الشباب الذين هم على مستوى هنا {في الكابيتول هِلّ}... ممن اتفق أنهم يهود مستعدون ...للنظر في قضايا معينة من منطلق يهوديتهم...وجميع الشباب يشغلون مواقع تمكنهم من اتخاذ القرار في هذه الميادين نيابة عن الشيوخ...يمكنك إنجاز أمور كثيرة جداً على مستوى جهاز العاملين فقط.

إلا أن الآيباك نفسه هو الذي يشكل نواة نفوذ اللوبي في الكونغرس. ونجاح هذا التنظيم يعود إلى قدرته على مكافأة المشرعين ومرشحي عضوية الكونغرس الذين يؤيدون برنامجه.[153]

ومعاقبة أولئك الذين يتحدونه. إن عنصر حاسم في انتخابات الولايات المتحدة(كما تذكرنا الفضيحة الأخيرة حول صفقات عضو اللوبي جاك أبراموف المشبوهة المختلفة)، ويحرص الآيباك على ضمان حصول أصدقائه على دعم مالي قوي من مئات لجان العمل السياسية الموالية لإسرائيل. أما أولئك الذين يبدون معادين لإسرائيل فيمكنهم بالمقابل أن يطمئنوا إلى أن الآيباك سيقوم بتوجيه المساهمات الداعمة للحملة الانتخابية إلى خصومهم. يقوم الآيباك أيضاً بتنظيم حملات كتابة الرسائل وتشجيع محرري الصحف على كيل المديح للمرشحين الموالين لإسرائيل.

ليس ثمة أي شك حول مدى فعالية هذه التكتيكات. هاكم مثالاً واحداً:في 1984 ساعد الآيباك على إلحاق الهزيمة بالسيناتور تشارلز بيرسي الإيلينوي (نسبة إلى ولاية إيلينوي) الذي كان، برأي كبار شخصيات اللوبي، قد أبدى قدراً من عدم الحساسية بل وحتى العداء إزاء هواجسنا. ورئيس الآيباك في ذلك

---

[153] المرجع نفسه ص64

الوقت: توماس داين سلط الضوء على ما حصل قائلاً: اجتمع جميع اليهود في أمريكا من الشاطئ إلى الشاطئ للإطاحة ببيرسي. وصلت الرسالة إلى جميع السياسيين الأمريكيين–شاغلي المناصب الحاليين مع الطامحين إلى شغلها مستقبلاً على حد سواء. يبقى الآيباك حريصاً على تثمين شهرته بوصفه خصماً جباراً، عالياً، بالطبع، لأن من شأن ذلك أن يدفع كائناً من كان إلى العزوف عن التشكيك ببرنامجه.[154]

إن تأثير الآيباك في البرلمان يتجاوز حتى تلك الحدود. فبرأي عضو سابق في جهاز عاملي الآيباك يدعى دوغلاس بلومفيد: من الشائع بالنسبة إلى أعضاء الكونغرس ومساعديهم أن يلوذوا أولاً بالآيباك حين يكونون بحاجة إلى معلومات، قبل الاتصال بمكتبة الكونغرس، بجهاز البحوث التابع للكونغرس، بجهاز اللجنة المختصة، أو بخبراء الإدارة. والأهم من ذلك هو أنه يلاحظ أن الآيباك كثيراً ما يُطلب منه صياغة الكلمات، إعداد التشريعات، تقديم المشورة حول التكتيكات، إجراء البحوث والدراسات، إيجاد المشرفين المشاركين، وتنظيم الأصوات. باختصار شديد يتضح أن الآيباك، الذي هو أداة عملية لحكومة أجنبية فعلياً، يمسك بعصب حياة كونغرس الولايات المتحدة. أي نقاش حر لسياسة الولايات المتحدة تجاه إسرائيل لا يتم هناك، رغم انطواء مثل تلك السياسة على عواقب بالغة الأهمية بالنسبة للعالم كله.[155]

وهكذا فإن واحداً من فروع الحكم الرئيسية الثلاثة في الولايات المتحدة يكون ثابت الالتزام بدعم إسرائيل. سبق للسيناتور السابق إيرنست هولنغز (ديمقراطي – ساوث كارولاينا) أن علق لدى انتهاء ولايته قائلاً: لا تستطيع أن ترسم سياسة إسرائيلية مغايرة لتلك التي يزودك بها الآيباك هنا. فلا غرابة إذن أن

---

[154] جون جي .ميرشايمر / ستفن إم .والت – أمريكا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية - ص65

[155] المرجع نفسه ص 66

يكون رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون قد أبلغ جمهوراً أمريكاً بما يلي: حين يسألني بعضهم عن أسلوب مساعدة إسرائيل أقول لهم: ساعدوا الآيباك [156]

التأثير في السلطة التنفيذية

يتمتع اللوبي أيضاً بنفوذ كبير لدى الفرع التنفيذي. وهذا النفوذ مستمد في جزء منه من تأثير الناخبين اليهود يقدمون تبرعات انتخابية كبيرة إلى مرشحي الحزبين كليهما. قدرت الواشنطن بوست مرة أن مرشحي الرئاسة الديمقراطيين يعتمدون على دعم المؤيدين اليهود المالي بنسبة 60 بالمائة. يضاف إلى ذلك أن الناخبين اليهود يصوتون بكثافة وهم متمركزون في ولايات مفتاحية مثل كاليفورنيا، فلوريدا، إيلينوي، نيو يورك، وبنسلفانيا. ولأنهم ذوو تأثير كبير في الحملات الانتخابية المتقاربة، نرى مرشحي الرئاسة يبالغون في تجنب استعداء الناخبين اليهود.[157]

ثمة منظمات رئيسية في اللوبي تبادر أيضاً إلى استهداف الإدارة القائمة على نحو مباشر. فالقوى الموالية لإسرائيل تسعى مثلاً إلى ضمان عدم وصول منتقدي الدولة اليهودية إلى مواقع ذات شأن في ميدان السياسة الخارجية. كان جيمي كارتر راغباً في تعيين. جورج بول وزيراً للخارجية، إلا أنه كان يعلم بأن للأخير موقفاً انتقادياً من إسرائيل وبأن اللوبي كان سيعارض مثل هذا التعيين. من شأن مثل هذا المعيار أن يجبر أي صانع قرار سياسي طموح على التحول إلى مؤيد صريح لإسرائيل، الأمر الذي أدى إلى جعل منتقدي السياسة

---

[156] المرجع نفسه ص67

[157] جون جي .ميرشايمر / ستفن إم .والت – أمريكا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية - ص 68

الإسرائيلية في العلن صنفاً مهدداً بالانقراض في مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية.[158]

مازالت هذه القيود نافذة اليوم. فحين أقدم مرشح 2004 الرئاسي هوارد دين على دعوة الولايات المتحدة إلى الاضطلاع بـ دور أكثر توازناً في الصراع العربي–الإسرائيلي، سارع السيناتور جوزف ليبرمن إلى اتهامه ببيع إسرائيل بثمن بخس والقول بأن تصريحه كان غير مسؤول . جل كبار الديمقراطيين في البرلمان

وقَعوا رسالة قوية موجهة إلى دين منتقدين فيها تعليقاته وتحدثت الشيكاغو جويش ستار عن قيام مهاجمين مغفلين ... باقتحام عناوين البريد الإلكتروني للقادة اليهود في طول البلاد وعرضها محذرين – دون أي دليل – من احتمال أن يكون دين سيئاً، بشكل ما بالنسبة إلى إسرائيل. [159]

تتم خدمة أهداف اللوبي أيضاً حين ينجح أفراد موالون لإسرائيل في شغل مواقع مهمة في الفرع التنفيذي. ففي إدارة كلنتون مثلاً، كانت السياسة الشرق أوسطية تصاغ في المقام الأول من قبل موظفين على علاقة وثيقة بإسرائيل أو بمنظمات مرموقة موالية لإسرائيل – بمن فيهم مارتن إنديك، النائب السابق لمدير قسم الأبحاث في الآيباك وأحد مؤسسي معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط (الوينبWINEP)؛ دنيس روس الذي التحق بمعهد الوينب هذا بعد خروجه من الإدارة في 2001؛ وآرون ملر، الذي عاش في إسرائيل ويُكثر من التردد عليها.

هؤلاء كانوا بين أقرب مستشاري الرئيس كلنتون في قمة كامب ديفد في تموز /يوليو 2000. ومع أن الثلاثة، جميعاً، كانوا مؤيدين لعملية أوسلو السلمية

---

[158] جون جي .ميرشايمر / ستفن إم .والت – أمريكا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية - ص69

[159] المرجع نفسه ص70

ولإيجاد دولة فلسطينية فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا في حدود ما من شأنه أن يكون مقبولاً لدى إسرائيل. بقي الوفد الأمريكي شديد الحرص على الاهتداء بتوجيهات رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود باراك، على تنسيق المواقف التفاوضية سلفاً، وعلى عدم طرح مقترحاته المستقلة بشأن تسوية النزاع. لا غرابة، إذن، أن يكون المفاوضون الفلسطينيون قد شكوا من اضطرارهم إلى التفاوض مع فريقين إسرائيليين – فريق يرفع علماً إسرائيلياً، وفريق يرفع علماً أمريكياً .[160]

بات الوضع أكثر وضوحاً في إدارة بوش التي تضم في صفوفها أفراداً شديدي الولاء لإسرائيل مثل إليوت آبرامز، جون بولتن، دوغلاس فايث ، آي. لويس (سكوتر {دراج}) ليبي، رتشارد بيرل، بول ولفوفيتز وديفيد وورمسر. وكما سوف نرى فإن هؤلاء الموظفين ظلوا دائبين على السعي لاعتماد سياسات وخطط بتفضيل إسرائيل وبتأييد منظمات في اللوبي.[161]

مراكز الأبحاث في الولايات المتحدة

تسيطر القوى الموالية لإسرائيل على مراكز الأبحاث الأمريكية التي تلعب دوراً مهماً في صياغة إطار الحوار العام كما في رسم الخطة أو السياسة الفعلية. بادر اللوبي إلى إيجاد مركزه الخاص في 1985، حيث ساهم مارتن إنديك في تأسيس الوينب WINEP { معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى } ومع أن هذا المعهد يقلل من شأن علاقاته بإسرائيل ويدعي أنه يقدم وجهة نظر متوازنة وواقعية عن قضايا الشرق الأوسط، فإن الأمر هو غير ذلك. فالمعهد ممول ومدار بالفعل من قبل أفراد متطرفي الالتزام بالترويج للبرامج والمخططات الإسرائيلية.[162]

---

[160] جون جي .ميرشايمر / ستفن إم .والت – أمريكا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية - ص71

[161] المرجع نفسه ص72

[162] المرجع نفسه ص 76

إن تأثير اللوبي في عالم مراكز الأبحاث يتجاوز معهد وينب كثيراً، فعلى امتداد ربع القرن الماضي حققت القوى المؤيدة لإسرائيل حضوراً قيادياً في كل من معهد المشروع الأمريكي (AEI)، مؤسسة بروكنغز، مركز التخطيط الأمني(CSP)، معهد أبحاث السياسة الخارجية(FPRI)، الهريتيج فاونديش، معهد هُدْسُن(HI) معهد تحليل السياسة الخارجية (IFPA)، والمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي (الجينسا JINSA). إنها مراكز أبحاث خالصة الولاء لإسرائيل وليس فيها إلا القليل جداً من منتقدي دعم أمريكا للدولة اليهودية.

لعل تطور مؤسسة بروكنغز هو أحد المؤشرات الجيدة الدالة على نفوذ اللوبي في عالم مراكز الأبحاث. على امتداد سنوات عديدة، بقي أكاديمي مرموق ومتميز وموظف سابق في مجلس الأمن القومي صاحب شهرة، بجدارة، على صعيد الحياد فيما يخص الصراع العربي– الإسرائيلي يدعى وليم بي. كوندات كبير الخبراء في شؤون الشرق الأوسط لديها. أما اليوم فإن عمل بروكنغز في هذه القضايا تدار عبر مركز سابان لدراسات الشرق الأوسط الذي يموله ثري إسرائيلي – أمريكي وصهيوني متشدد يدعى حاييم سابان.ومدير مركز سابان هو مارتن إنديك دائم الحضور. وهكذا فإن ما كان ذات يوم معهد تخطيط محايداً متخصصاً بقضايا الشرق الأوسط بات الآن جزءاً من جوقة مراكز الأبحاث مفرطة الولاء لإسرائيل.[163]

سنكتفي بهذا القدر من الأدلة حتى لا ينفلت الموضوع منا ويتحول إلى الحديث عن تغلغل اللوبي اليهودي في أمريكا، فعجباً لمن يقفز فوق هذه الأدلة وغيرها ليقول بأن إسرائيل تحظى بدعم أمريكي بمعنى أن إسرائيل أضعف من أمريكا. فإذا كانت إسرائيل أقوى من أمريكا التي هي أقوى من العرب فمن الطبيعي أن

---

[163] جون جي .ميرشايمر / ستفن إم .والت – أمريكا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية - ص77

تكون إسرائيل أقوى من العرب في هذا المجال ومجالات أخرى كما سنرى في الصفحات التالية.

في مجال البحث العلمي

أصدر الدكتور خالد سعيد ربايعة، باحث فلسطيني من مركز أبحاث المعلوماتية في الجامعة العربية الأمريكية في الأراضي الفلسطينية، دراسة حول البحث العلمي وبراءة الاختراع ضمن مقارنة بين إسرائيل وكافة الدول العربية، أثبتت بما لا يدع مجالا للشك بأن إسرائيل تتفوق بشكل كبير وملحوظ على كافة الدول العربية إضافة إلى أعداد العلماء في كلا الجانبين.

نتائج البحث أكدت بما لا يدع مجالا للشك التفوق الإسرائيلي في المجال العلمي والتكنولوجي على جميع الدول العربية، فقد حظيت الجامعات الإسرائيلية بمراكز متقدمة على المستوى العالمي حسب التصنيفات الدولية، وخاصة الجامعة العبرية التي احتلت المركز 64 على مستوى العالم، بينما لم يرد ذكر أي من الجامعات العربية في الخمسمائة جامعة الأولى.[164]

وان هنالك تسعة علماء إسرائيليين حازوا على جوائز نوبل، بينما حاز العرب على 6 جوائز، ثلاثة منها بدوافع سياسية، ومنهم العالم المصري أحمد زويل الذي نال الجائزة على أبحاثه التي أجراها في الجامعات الأمريكية.

كما وتنفق إسرائيل على البحث العلمي ضعف ما ينفق في العالم العربي، حيث بلغ مجموع ما أنفق في إسرائيل على البحث العلمي غير العسكري ما يعادل حوالي 9 مليار دولار حسب معطيات 2008.

---

[164] **مركز الزيتونة للدراسات ولاستشارات ـ دراسة مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل في البحث العلمي وبراءة الاختراع.**

بالنسبة لعدد العلماء، تذكر مصادر اليونسكو أن هنالك حوالي 124 ألف باحث عربي، بينما تم تقدير عدد العلماء والباحثين الإسرائيليين بحوالي 24 ألفا، وأفادت مصادر أخرى بوجود حوالي 90 ألف عالم ومهندس يعملون في البحث العلمي وتصنيع التكنولوجيا المتقدمة خاصة الالكترونيات الدقيقة والتكنولوجيا الحيوية.

وتنفق إسرائيل ما مقداره 4.7% من إنتاجها القومي على البحث العلمي، وهذا يمثل أعلى نسبة إنفاق في العالم، بينما تنفق الدول العربية ما مقداره 0.2% من دخلها القومي والدول العربية في آسيا تنفق فقط 0.1% من دخلها القومي على البحث العلمي.

أما بالنسبة لبراءات الاختراع، فهي المؤشر الأكثر تباينا بين العرب وإسرائيل، فقد سجلت إسرائيل ما مقداره 16,805 براءة اختراع، بينما سجل العرب مجتمعين حوالي 836 براءة اختراع في كل تاريخ حياتهم، وهو يمثل 5% من عدد براءات الاختراع المسجلة في إسرائيل.

وتفيد تقارير اليونسكو كذلك أن عدد براءات الاختراع التي سجلت في إسرائيل في العام 2008 والتي تبلغ 1,166 تفوق ما أنتجه العرب بتاريخ حياتهم وهو 836 براءة اختراع.

أما بالنسبة للمؤلفات والكتب المنشورة، فقد أفادت أيضا المعطيات المتوفرة إلى انه في إسرائيل تم تأليف ونشر 6,866 كتابا بينما يؤلف العرب ما يقدر ب 10,000 كتاب سنوياً. أما بالنسبة للنشر الأبحاث العلمية في المجلات المحكمة فقد نشر الباحثون الإسرائيليون 138,881 بحثا محكما، ونشر العرب حوالي 140,000 بحث محكم. على الرغم من أن عدد الأبحاث متقارب، إلى أن جودة ونوعية الأبحاث الإسرائيلية أعلى بكثير من الأبحاث العربية، وهذا يمكن الاستدلال عليه من عدد الاقتباسات لتلك الأبحاث ومعامل (H) الذي

يعبر عن مدى إنتاجية دولة معينة للعلوم ومدى تأثير تلك العلوم على المعرفة الإنسانية. بلغ عدد الاقتباسات للأبحاث العربية ما مقداره 620,000 اقتباس، بينما بلغ عدد اقتباسات الأبحاث الإسرائيلية 1,721,735 اقتباسا، وبلغ معامل الفعالية (H) لإسرائيل 293 وبلغ بالمعدل للدول العربية حوالي 40.[165]

البحث العلمي والإنفاق عليه

يعرف البحث العلمي على انه مجموعة من النشاطات والتقنيات والأدوات التي تبحث في الظواهر المحيطة والتي تهدف إلى زيادة المعرفة وتسخيرها في عمليات التنمية لمختلف جوانب الحياة. ويسمى البحث علمياً إذا اعتمد على تجميع معلومات كافية ناتجة من تجارب علمية يمكن قياسها والتحقق من دقتها عن طريق الملاحظة أو التجربة وتصنيف نتائجها ومن ثم يصار إلى وضع فرضيات معينة لتفسير تلك الظواهر وتصميم تجارب أخرى لاختبار تلك الفرضيات وتحويلها إلى نظريات.

تعاني الجامعات العربية بشكل عام والجامعات الفلسطينية بشكل خاص من أزمة تتمثل في ضعف البنى البحثية في مجالات البحث العلمي وهذا ما ينعكس سلبا على كفاءة وإنتاجية تلك الجامعات في ذلك المجال. تشير الدراسات إلى أن إنتاجية عشرة باحثين عرب توازي إنتاجية باحث واحد في المتوسط الدولي. هذا ويبلغ متوسط الباحثين إلى عدد السكان من المؤشرات التي تستخدم للإشارة إلى اهتمام الدولة بالبحث العلمي. في العالم العربي هنالك حوالي 380 باحث لكل مليون شخص عربي وهذا على اعتبار أن حاملي شهادات الدكتوراه والمدرسين في الجامعات محسوبون كباحثين.

---

[165] **مركز الزيتونة للدراسات ولاستشارات – دراسة مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل في البحث العلمي وبراءة الاختراع–**

بينما تبلغ تلك النسبة حوالي 4,000 باحث لكل مليون إنسان في الولايات المتحدة الأمريكية. يبلغ هذا المؤشر حوالي 499 باحث لكل مليون شخص في الدول النامية 3,598 باحث لكل مليون شخص في الدول المتقدمة. أي أن نسبة الباحثين العرب إلى عدد السكان هم الأدنى في كل دول العالم.
أما من حيث عدد الباحثين فتقرير اليونسكو لم يذكر بالتحديد عدد الباحثين في إسرائيل بشكل صريح ولكنه أشار إلى أن نسبتهم بالنسبة لدول العالم هي حوالي 0.4% وعند الأخذ بعين الاعتبار أن عدد الباحثين في العالم يقدر بحوالي 7,093,600 باحث، يتبين أن عدد الباحثين الإسرائيليين يقدر ب 28,374 باحث. الدول العربية مجتمعة حسب تقرير اليونسكو يبلغ عدد الباحثين فيها ما مقداره 124,000 باحث، وهذا يمثل ما مقداره حوالي 1.8% من عدد الباحثين في العالم.
وعند استشارة عدد من المواقع الإسرائيلية أشار بعضها إلى أن هذا العدد يمكن أن يكون أكثر بكثير مما هو منشور في تقرير اليونسكو. أشارة بعض المصادر إلى أن نسبة العلماء والباحثين إلى عدد السكان تبلغ 145 لكل 10,000 شخص أي 14,500 لكل مليون إنسان وهذا يساوي تقريبا ثلاثة إضعاف النسبة في الولايات المتحدة أو اليابان. أما بالنسبة للعالم العربي فتبلغ هذا نسبة العلماء في إسرائيل إلى السكان حوالي 37 ضعف لتلك النسبة في العالم العربي.
وتشير تلك المصادر إلى أن هنالك حوالي 90 ألف عالم ومهندس يعمل قسم كبير منهم في أبحاث وصناعة التكنولوجيا.[166]

---

[166] **مركز الزيتونة للدراسات ولاستشارات – دراسة مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل في البحث العلمي وبراءة الاختراع–**

الدول	الإنفاق على البحث العلمي (مليون دولار)	مقارنة مع ما ينفق في إسرائيل
مصر (2007)	927،917	%10
الأردن(2004)	60،403	%0،6
الكويت(2005)	111،357	%1،2
المغرب(2006)	761،726	%7،4
السعودية(2007)	273،072	%3،0
السودان(2005)	179،085	%2،0
تونس(2005)	660،607	%7،0
السلطة الفلسطينية	11،5	%0،12
الدول العربية مجتمعة	4،700،000	%53
إسرائيل	8،817،635	

تنفق إسرائيل على البحث العلمي ما قيمته 0.8- 1.0% مما ينفق في العالم اجمع بينما تنفق الدول العربية مجتمعة ما قيمته 0.4% مما ينفق في العالم أي أن إسرائيل تنفق أكثر من ضعف ما ينفق في الدول العربية مجتمعة على البحث العلمي والتطوير. تنفق إسرائيل على البحث العلمي ما قيمته **4.7%** من نتاجها القومي، بينما ينفق العالم العربي **0.2%** من نتاجه القومي على البحث العلمي. وإسرائيل هي أعلى دولة في العالم قاطبة من حيث نسبة

الإنفاق على البحث العلمي من الناتج القومي. الولايات المتحدة الأمريكية تنفق حوالي 2.7% من نتاجها القومي، بريطانيا 1.8% وألمانيا حوالي 2.6%. اقل الدول في العالم إنفاقا على البحث العلمي هي الدول العربية خاصة الموجودة في آسيا، فلم يتجاوز إنفاقها على البحث العلمي 0.1% من إنتاجها القومي، وهذا أقل خمس مرات من نسبة إنفاق الدول الإفريقية التي بلغت 0.5% من نتاجها القومي، حسب تقرير اليونسكو 2008. وبالمجمل يبلغ إنفاق الدول العربية على البحث العلمي والتطوير تقريبا نصف ما تنفقه إسرائيل، على الرغم من أن الناتج القومي العربي يبلغ 11 ضعف الناتج القومي في إسرائيل، والمساحة هي 649 ضعف.[167]

أما بالنسبة لنصيب الفرد من الإنفاق على البحث العلمي فقد احتلت إسرائيل المرتبة الأولى عالميا بواقع 1272.8 دولار وجاءت في المرتبة الثانية الولايات المتحدة الأمريكية وأنفقت حوالي 1205.9 دولار وثالثا جاءت اليابان بواقع 1153.3 دولار. أما الدول العربية فقد جاءت مئة مرة اقل من إسرائيل من حيث نصيب الفرد من الإنفاق على البحث العلمي حيث أنفقت ما معدله 14.7 دولار سنويا على الفرد، والدول العربية الموجودة في آسيا بما فيها الدول النفطية الغنية كان نصيب الفرد 11.9 دولار وهو ما يساوي ما تنفقه الدول الإفريقية التي تصنف بالفقيرة جدا، وقد بلغ نصيب الفرد فيها ما مقداره 9.4 دولار. الجدول أدناه بين نسبة الفرد من الإنفاق على البحث العلمي.

الدولة	نسبة الإنفاق من الناتج	نصيب الفرد من الإنفاق على البحث

[167] **مركز الزيتونة للدراسات ولاستشارات – دراسة مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل في البحث العلمي وبراءة الاختراع–**

	القومي	العلمي(دولار)
إسرائيل	%4،7	1،272،8
اليابان	%3،4	1،153،3
الدول الأوربية	%1،8	531
أمريكا الشمالية	%2،6	1،205،9
أمريكا اللاتينية	%0،6	58،4
الدول المتقدمة	%2،3	710
الدول النامية	%1،0	58،5
الدول العربية	%0،2	14،7
الدول العربية في آسيا	%0،1	11،9
الدول الإفريقية	%0،5	9،4
المعدل العالمي	%1،7	170
فلسطين	%0،3	2،9

إحصائيات الجانب الفلسطيني تم الحصول عليها من الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

أما في فلسطين فيبلغ مجموع ما ينفق على البحث العلمي حسب بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ما مقداره 11.5 مليون دولار أكثر من 65% من هذا المبلغ هو مساعدات من الجهات المانحة وان مشاركة السلطة الفلسطينية في هذا المبلغ بلغت في العام 2007 ما مقداره 3.9% أي أقل من نصف مليون دولار.[168]

---

[168] **مركز الزيتونة للدراسات ولاستشارات – دراسة مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل في البحث العلمي وبراءة الاختراع–**

براءت الاختراع المسجلة عالمياً

وفيما يتعلق بحجم الإنتاج العلمي في الدول العربية، أشارت دراسة إلى أن مجموع براءات الاختراع المسجلة للعالم العربي في 20 عاما ما بين عامي 1980 وعام 2000 أن العرب حصلوا مجتمعين على 370 براءة اختراع بينما سجلت كوريا الجنوبية وحدها 57,968 براءة اختراع، بلغت براءات الاختراع التي حصلت عليها الدول العربية حوالي 500 براءة اختراع بينما حصلت إسرائيل على ما مجموعه 16,805، وحصلت اليابان على 725,866 وألمانيا على 313,078.

الدولة	2008	المجموع الكلي	المرتبة العالمية
الولايات المتحدة	157،772	4،380،724	1
اليابان	33،682	725،866	2
ألمانيا	8،915	313،078	3
المملكة المتحدة	3،094	129،762	4
كوريا الجنوبية	7،549	57،968	8
إسرائيل	1،166	16،805	14
الدول العربية مجتمعة	71	836	
لوكسمبورغ	24	974	
ماليزيا	152	947	
السعودية	30	310	46
مصر	2	113	60
الكويت	15	103	61
لبنان	2	70	65

المغرب	4	70	66
الإمارات	9	57	74
تونس	2	23	95
الأردن	0	21	97
سوريا	0	20	99
الجزائر	0	13	104
العراق	1	10	114
عمان	5	2	119
السودان	0	7	120
البحرين	0	4	131
ليبيا	0	4	135
قطر	1	4	138

يبين الجدول أعلاه عدد براءات الاختراع كما هي مسجلة في دائرة تسجيل الاختراعات الأمريكية على مدار التاريخ، حسب جنسية المخترع الأول في قائمة المخترعين.

يلاحظ من خلال الإحصائيات أن عدد براءات الاختراع الإسرائيلية المسجلة للإسرائيليين والبالغة حوالي 16,805 هي عشرون ضعفا لبراءات الاختراع المسجلة من قبل كل المخترعين العرب قاطبة. وفي السنة الماضية يبدو ان الوضع لم يشهد أي تحسن حيث سجل المخترعون الإسرائيليون 1,166 اختراعا وسجل المخترعون العرب مجتمعون حوالي 71 اختراعا. اللافت للانتباه أن حوالي 40% من هذه المخترعات قد تم تسجيلها في المملكة العربية السعودية وان أكثر من 20% منها قد تم تسجيلها لمخترعون من دولة الكويت، حيث تشير الإحصائيات إلى وجود تحسن نسبي بأعداد براءات الاختراع

المسجلة للسعوديين بشكل خاص. للتعبير عن ضآلة حجم المخترعات يكفي أن نشير إلى أن عدد المخترعات المسجلة لدولة مثل لوكسمبورغ التي يبلغ عدد سكانها اقل من نصف مليون نسمة ومساحتها اقل من 1,000 ميل مربع قد سجلت ما مجموعه 974 براءة اختراع بينما الدول العربية مجتمعة سجلت 836 اختراع.

هذه الأرقام والمعطيات ليست فقط دليلا على ضآلة إنتاج البحث العلمي العربي وإنما أيضا تدني كفاءة الباحثين العرب بالمقارنة مع الباحثين من الدول المتقدمة وإسرائيل. فقد أنفقت إسرائيل حوالي ضعف ما انفق العرب على البحث العلمي ولكنها أنتجت في السنة الماضية 20 ضعف ما أنتج العلماء العرب مجتمعين من مخترعات. فلو وزعنا عدد المخترعات العربية على عدد الباحثين لكان نصيب كل اختراع ما مقداره 1,759 باحثا, أما في حالة إسرائيل فقد احتاج الاختراع الواحد إلى جهود حوالي 24 باحثا بالمتوسط. أي أن كفاءة الباحث الإسرائيلي أكثر من سبعين ضعفا لكفاءة الباحث العربي. أما من حيث التكلفة فقد كلفت براءة الاختراع الواحدة العرب ما مقداره عشرة أضعاف ما كلفتة للإسرائيليين.[169]

عدد المؤلفات والكتب

للتدليل على عمق المأساة التي يعيشها العالم العربي يكفي أن نشير إلى أن عدد الكتب التي ترجمت الى العربية في الألف سنة الماضية يقدر بـ 10,000 كتاب وهو يساوي ما تترجمه اسبانيا في سنة واحدة فقط. ويقول العالم المصري أحمد زويل الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء إن إنتاج العالم العربي من المعارف الإنسانية لا يتجاوز **0.0002%** من إنتاج العالم بينما تنتج إسرائيل

---

[169] **مركز الزيتونة للدراسات ولاستشارات – دراسة مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل في البحث العلمي وبراءة الاختراع-**

1.0% من المعارف العالمية أي أن إسرائيل تنتج أبحاثاً ومعارف 5,000 مرة أكثر من العالم العربي.

الجدول المبين أدناه يوضح عدد الأبحاث التي تم نشرها في الدوريات والمؤتمرات العالمية المحكمة ما بين عامي 1996 وعام 2007. الجدول يبين عدد الأبحاث المنشورة، وعدد الأبحاث المقتبسة ومن ثم العدد الإجمالي لاقتباسات لتلك الأبحاث. الجدول يبين كذلك معامل (H) الذي يعبر عن مدى فعالية الدولة في الإنتاج العلمي، ومدى تأثير تلك العلوم والمعارف المنتجة على العلوم والمعارف الإنسانية. احتلت إسرائيل المرتبة 14 بين الدول في الأبحاث المشورة ونشرت في العشرة سنوات ما بين 2007 و 1996، 138,881 بحثا، وكان هنالك 1,721,735 اقتباسا لتلك الأبحاث مما يعني أنها أبحاث نوعية من الدرجة الأولى. وقد حصلت إسرائيل على 293 نقطة على سلم معامل (H) وهي نتيجة تضعها في مصافي الدول المتقدمة كبريطانيا، وفرنسا وألمانيا.

الدولة	عدد الأبحاث المنشورة	عدد الأبحاث المقتبسة	عدد الاقتباسات	
الولايات المتحدة	3،916،572	3،731،237	63،589،350	959
اليابان	1،117،198	1،097،676	10،495،122	453
المملكة المتحدة	1،114،601	1،032،672	14،946،918	578
كوريا الجنوبية	272،646	272،646	1،721،735	204
تركيا	146،970	140،069	674،441	126
إسرائيل	138،881	134،055	1،773،976	293

مصر	41،614	41،129	188،598	85
السعودية	23،810	22،870	109،497	81
تونس	14،418	14،084	49،929	56
المغرب	14،209	13،881	65،974	63
الجزائر	9،371	9،305	31،831	53
الأردن	9،072	8،978	35،768	47
الكويت	7،735	7،592	39،035	55
الإمارات العربية	7،462	7،188	31،980	51
لبنان	6،357	5،955	35،200	58
عمان	3،687	3،516	15،092	39
سوريا	1،845	1،814	10،890	37
فلسطين	1،042	1،025	4،016	24
اليمن	642	625	2،688	23

أما الدول العربية فقد بلغ مجموع أبحاثها المنشورة حوالي 140,00 أي تقريبا نفس العدد المنشور في إسرائيل، ولكن مع فارق النوعية التي يحددها عدد الاقتباسات لتلك الأبحاث. فقد بلغ مجموع الاقتباسات للأبحاث العربية حوالي 620,000 اقتباس مقابل 1,773,735 اقتباس أي تقريبا حوالي ثلاثة أضعاف الاقتباسات لكل الأبحاث العربية المنشورة.

أما بالنسبة للكتب والعناوين المؤلفة فعند الأخذ بعين الاعتبار حجم التأليف في كل المواضيع بما فيها من علمية، وتكنولوجية، وحسب الإحصائيات المتوفرة من منظمة اليونسكو، كان حجم الإنتاج من تلك المؤلفات حوالي 6,866 عنوانا. بينما كان حجم الإنتاج العربي مجتمعا للسنوات المتوفرة لليونسكو:

قائمة بأعداد الكتب التي تم تأليفها في السنة المبينة في الجدول:

المملكة المتحدة (2005)	206،000
الولايات المتحدة (2005)	172،000
الصين(2007)	136،226
ألمانيا(2007)	96،000
أسبانيا(2008)	86،300
كوريا الجنوبية (1996)	30،487
إسرائيل(2006)	6،866
لبنان	3،686
مصر (1995)	2،215
سوريا	1،800
الجزائر	670
المغرب	918
الأردن	511
فلسطين	114

يشير الجدول أعلاه إلى أن حجم إنتاج المؤلفات في العالم العربي يزيد قليلا عن حجم إنتاج الكتب أو التأليف في إسرائيل. وهنا يجب الإشارة إلى أن لبنان يتصدر قائمة الدول العربية التي أنتجت مؤلفات تليها مصر ثم سوريا. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الدول العربية غير مدرجة في بيانات اليونسكو مثل السعودية.[170]

---

[170] **مركز الزيتونة للدراسات ولاستشارات – دراسة مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل في البحث العلمي وبراءة الاختراع–**

إسرائيل تبتكر وتخترع والعرب ينفقون على التسلح

تبين من خلال دراسة وضع البحث العلمي في المنطقة، أن أنظمة التعليم والبحث العلمي في الدول العربية والخليجية ما تزال بعيدة عن المستوى العالمي المطلوب، فميزانيات البحث العلمي في الدول العربية على الرغم من بعض الدعم الذي سجلته خصوصا في دول الخليج ما تزال محدودة ولم ترقى إلى المعايير الدولية، في المقابل تضخمت ميزانيات التسلح في هذه الدول.

وبينما توصلت جهود البحث العلمي في إسرائيل على سبيل المثال إلى تطوير تكنولوجيا الجزيئات (النانو) لقد تأخرت مراكز الأبحاث العلمية العربية عن اللحاق بركب الدول التي استفادة من الثورة العلمية والتكنولوجية الحالية، وبقيت أغلب الدول العربية دون استثناء في تبعية لمراكز الأبحاث والعلوم والتكنولوجيا في الخارج. يذكر على سبيل المثال أن مراكز أبحاث إسرائيل طورت علاجات كثيرة وتوصلت في السنوات الأخيرة إلى براءات اختراع متعددة في مجال الأدوية مثل علاج مرض الباركينسون " مانيتول " و " ايكسيلون " لمعالجة الزهايمر وآلة طبية لمساعدة العاجزين على المشي " ري وولك " وتعد مخابر الأدوية " تيفا " الإسرائيلية من أكبر الشركات المصنعة والمسوقة للدواء في العالم. إلا أن الدول العربية تزايد إنفاقها الصحي على استيراد الأدوية. وحسب تقرير لغرفة التجارة والصناعة *السعودية* الأمريكية فقد زادت نسبة واردات الخليج والعرب من أمريكا خصوصاً على مستوى الأدوية.[171] لنكتفي بهذا القدر حتى لا يحيد البحث عن الموضوع الذي خصص له.

علاقة إسرائيل مع حلفائها

قبل الخوض في هذه النقطة لابد لنا من التوقف قليلا حتى نذكر بعلاقة إيران بمن تزعم أنهم حلفائها، وأنها تسعى لحمايتهم ودعمهم وتصدر لهم ثورتها؛ فلقد

---

[171] مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية – جامعة الكويت –{دول الخليج والوطن العربي تتباطأ في التحول إلى اقتصاد المعرفة} http://www.cgaps.kuniv.edu/

تبين لنا منذ قيام الدولة الصفوية في إيران إلى غاية يومنا هذا أن إيران تسعى إلى تحقيق أطماعها في المنطقة متخفية خلف عباءة الدين حتى تلقى القبول والدعم من طرف بعض الجماعات الشيعية الساذجة. في (العراق، سوريا، لبنان، اليمن، ودول الخليج) المناوئة لنظام الحكم القائم في تلك الدول التي تتبع لها بالاسم فقط. بالمختصر المفيد إيران تبني مجدها وإمبراطوريتها بأشلاء حلفائها

بينما نجد أن إسرائيل على العكس تماماً، فلو أخذنا علاقة إسرائيل بتركيا كنموذج تبين لنا من خلاله ما مدى دعم إسرائيل لحلفائها.

أولا- بداية العلاقات العسكرية الإسرائيلية التركية وتطورها:

كانت العلاقات التركية مع إسرائيل والغرب في فترة أواخر الأربعينيات والخمسينيات الميلادية، قوية ومما يدلل على ذلك أنها اعترفت بإسرائيل في آذار عام 1949م – 1369هـ، وفي العام التالي عينت ممثلاً لها في تل أبيب، وفي عام 1952م – 1372هـ تم تبادل السفراء بينهما. وفي تلك الفترة وما بعدها أخذت تركيا توطد علاقاتها مع الغرب إذ انضمت في العام الأخير إلى حلف شمال الأطلسي N.A.T الأمر الذي أدى إلى زيادة التواجد العسكري الغربي في أراضيها كما أنها انضمت في عام 1955م – 1375هـ إلى حلف بغداد إلى جانب بريطانيا وإيران وباكستان والعراق، وقد أكد ذلك توجهاتها الغربية، ورغبتها في السيطرة على المنطقة ومحاولتها تطويق المد العربي فيها.

وفي مجال العلاقات العسكرية قامت إسرائيل وتركيا وإيران بتنسيق جهودهم الأمنية والاستخبارية للتصدي للخطر الشيوعي والبعثِ الذي ظهر آنذاك في كل من العراق وسوريا. وقد استمرت تلك العلاقة إلى فترة الستينيات الميلادية.

وفي فترة السبعينيات الميلادية أخذت إسرائيل تزود تركيا بالأسلحة. واستخدم البعض منها كالمدافع والصواريخ والرشاشات عندما استولى الأتراك على الجزء

الشمالي من قبرص عام 1974م –1394هـ . وفي تلك الفترة عينت تركيا مستشاراً عسكرياً لها في إسرائيل بهدف توطيد علاقتهما العسكرية.

لقد اعتمدت العلاقات بين إسرائيل وتركيا في فترة الثمانينيات الميلادية على موقف الجهاز السياسي والعسكري التركي من إسرائيل، إذ شهدت الفترة بين عامي 1980- 1984م / 1400-1404هـ فتوراً في العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بينهما، وكان ينظر إلى إسرائيل على أنها تشكل خطراً على تركيا. لكن تلك النظرة قد تغيرت بعد عام 1985م- 1405هـ وأصبح ينظر إليها إيجابيا، وتعزز ذلك بانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان في ذلك العام، عندها أعيدت العلاقات العسكرية بين الطرفين حيث[172]

شكلت لجان مشتركة بينهما، وذلك لبحث ومناقشة القضايا العسكرية والأمنية بينهما. وفي عام 1989م - 1409هـ وقعت اتفاقية عسكرية محدودة بين سلاحي الجو التركي والإسرائيلي، بهدف التعاون في مجال التدريب وتبادل المعلومات العسكرية.

وشهدت الفترة ما بين عامي 1990م- 1992م / 1410-1412هـ، ظهور تغييرات سياسية واقتصادية وعسكرية، إقليمية في الشرق الأوسط، واسيا وعالمية تمثلت في عملية السلام بين إسرائيل وبعض الدول العربية مثل الأردن وسورية وفلسطين، وتفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991م – 1411هـ، وانتهاء حرب الخليج الثانية 1991م-1411هـ، وتقلص العلاقات الاقتصادية بين تركيا والبلدان العربية، وظهور مشكلات سياسية داخلية وخارجية في تركيا، أدت إلى تطوير علاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية مع إسرائيل.

وتميزت الفترة بين عامي 1991م – 1411هـ وبداية 1996م – 1416هـ بأنها مرحلة لبناء العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين تركيا وإسرائيل ففي

---

[172] د. هشام فوزي عبد العزيز- العلاقات العسكرية الإسرائيلية- التركية.
http://www.islamdaily.org/

المجال الأول، رفع مستوى التمثيل السياسي بين البلدين إلى مستوى السفراء عام 1991 م –1411هـ، كما قام وزير السياحة التركي السابق عبد القادر أتش Abdul kadir Ates بزيارة إلى إسرائيل عدت الأولى من نوعها، وتمخض عنها توقيع معاهدة في حزيران 1992م–ذو الحجة، 1412هـ لتسهيل الزيارات السياحية بينهما. كما قام حكمت جتينHikmet Cetin ، بأول زيارة لوزير خارجية تركي إلى إسرائيل في 12 تشرين الثاني 1993م –28جمادى الأول 1414هـ نتج عنها التوقيع على مذكرة للتفاهم والتعاون المشترك ما بين تركيا وإسرائيل، وتم فيها التأكيد على التعاون الاقتصادي والعلمي وتبادل الزيارات، والتعاون الإقليمي، وتنسيق الجهود المشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية وفي المقابل قام عزرا وايزمنEzra Weizman ، رئيس دولة إسرائيل بزيارة إلى تركيا في25 كانون الثاني 1994م– 13شعبان1414هـ، ولمدة ثلاثة أيام، تناولت المباحثات التي أجراها مع الأتراك سبل تطوير شتى العلاقات بين البلدين وللتأكيد على مستوى العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين البلدين، قامت تانسو جللر Tansu Ciller رئيس الوزراء التركية بزيارة إلى إسرائيل في 31آذار1994م–19شوال1414هـ، تم فيها التوقيع على العديد من الاتفاقيات السياسية والاقتصادية والأمنية.

وفي مجال العلاقات العسكرية، فقد سمحت تركيا لإسرائيل في عام 1990م–1410هـ بإنشاء محطات للتجسس الأمني والاستخباري على الدول المجاورة وبخاصة العراق وسوريا وإيران. وفي أثناء أزمة الخليج عام 1991م – 1411هـ سمحت تركيا للطائرات الإسرائيلية باستخدام مطاراتها العسكرية لأغراض التجسس على العراق.[173]

---

[173] د. هشام فوزي عبد العزيز- العلاقات العسكرية الإسرائيلية- التركية.
http://www.islamdaily.org

وضمن إطار الزيارات العسكرية، فقد زار قائد سلاح الجو الإسرائيلي هرتزل بودينغر Herzel Bodenger ، تركيا في شهر آب 1993م – ربيع الأول 1414هـ، والتقى فيها وزير الدفاع، ورئيس هيئة الأركان، وقائد سلاح الجو الأتراك. وتم فيها البحث في سبل تطوير العلاقات العسكرية بين البلدين.
وأعقبها زيارة قام بها دافيد عفري David Evri ، المدير العام لوزارة الدفاع الإسرائيلية، إلى أنقرة أواخر ذلك العام، على رأس وفد من كبار قادة الجيش الإسرائيلي. وقد اجتمع الوفد الإسرائيلي مع نظيره التركي، وكان محور المحادثات إقامة روابط عسكرية على أساس المصالح الإستراتيجية المشتركة. ورغبة في توطيد العلاقات العسكرية والأمنية بين تركيا وإسرائيل، قام المفتش العام للشرطة الإسرائيلية أساف حيفتس Isaf Hevetz بزيارة تركيا في شهر تشرين الأول 1994م – جمادى الأولى 1415هـ، واجتمع مع رئيس خدمات الأمن التركي محمد آجار. وتناولت المباحثات التعاون في مجال مكافحة الإرهاب. وفي 18أيلول1995م –23ربيع الثاني 1416هـ، اجتمع دافيد عفري مع قادة الجيش التركي في أنقرة، وبحث موضوع المشاريع الأمنية المشتركة، وتطورات الوضع في الشرق الأوسط.
وأثمرت الجهود الإسرائيلية – التركية خلال الفترة ما بين عامي1990–1995م /1410–1415هـ عن تطورات جذرية في العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين البلدين خلال الفترة اللاحقة التي تمتد ما بين عامي 1996–1998م / 1416–1418هـ إذ شهدت انطلاقة جديدة في حجم ونوع العلاقات العسكرية بينهما، فتجسد ذلك في عقد الاتفاقيات العسكرية والأمنية، وقيام إسرائيل بتحديث مختلف أسلحة الجيش التركي، إضافة إلى تزويده بشتى أنواع الأسلحة، وإجراء المناورات الجوية والبحرية المشتركة، فضلاً على التنسيق العسكري والاستراتيجي، وتبادل الزيارات العسكرية على مختلف المستويات والأصعدة . ففي مجال عقد الاتفاقيات العسكرية بين إسرائيل وتركيا، أثمرت

جهودهما عن التوقيع على اتفاقية التعاون العسكري والأمني في 24 شباط1996 م – 5 شوال 1416هـ. وتضمنت تبادل زيارات العسكريين والأسلحة والمعدات العسكرية في البلدين، وإجراء التدريبات الجوية والبحرية، بالتنسيق والتعاون المشترك مع الولايات المتحدة الأمريكية. إضافة إلى التعاون الأمني والاستخباري و"مكافحة الإرهاب". وقد تم الإعلان عن بعض تلك البنود رسمياً مثل إجراء التدريبات المشتركة المحدودة، وسرب البعض الآخر منها في الصحف التركية والإسرائيلية. وثمة بنود أخرى، تتعلق بطبيعة العلاقات العسكرية ومجالاتها وأهدافها، بقيت سرية ولم يعلن عنها.[174]

ومن المؤشرات الهامة على تطور العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وبخاصة في المجال الأخير الزيارات المتبادلة بين الطرفين. ففي أعقاب التوقيع على الاتفاقية العسكرية والأمنية في شباط 1996م– شوال 1416هـ قام الرئيس التركي سليمان دميرل Suleman Demirel ، بأول زيارة لرئيس دولة تركي إلى إسرائيل، وبصحبته وفد يضم 200 عضو، وذلك في 11 آذار1996 م –21 شوال1416هـ. وقد ناقش الوفد التركي مع الجانب الإسرائيلي مجالات التعاون بين البلدين، وبخاصة التعاون العسكري بينهما.

كما قامت تركيا بزيادة عدد الملحقين العسكريين الأتراك في سفارتها في إسرائيل من واحد إلى ثلاثة.

واستمرت العلاقات العسكرية الإسرائيلية – التركية بالتطور حتى في ظل ازدياد النفوذ الإسلامي في تركيا: اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وبخاصة بعد تسلم نجم الدين اربكان Necmettin Erbakan ، رئاسة الحكومة في الفترة من حزيران 1996م – محرم 1417هـ إلى حزيران 1997م – محرم 1418هـ وكان اربكان زعيم حزب الرفاه من المعادين لإسرائيل والغرب، ومن دعاة

---

[174] د. هشام فوزي عبد العزيز- العلاقات العسكرية الإسرائيلية- التركية.
http://www.islamdaily.org

التقارب مع العالم الإسلامي، لكن التيارات السياسية العلمانية بعامة، وقيادة الجيش بخاصة، قد مارست عليه شتى أنواع الضغوط السياسية والإعلامية والعسكرية، مع العلم بأن العلاقات الخارجية مع إسرائيل كانت تدار من قبل جنرالات الجيش التركي، مما أجبر اربكان على تغيير مواقفه من إسرائيل، وأخذ يبرر التعاون العسكري بين الدولتين بأنه في مصلحة تركيا. ومن الأمثلة التي توضح دور الجيش في العلاقات مع إسرائيل أن إسماعيل حقي كردائي Ismael Kardai قام بزيارة إسرائيل في شهر شباط 1997م – رمضان، 1417هـ، وبرفقته 13 صحفياً، دون إبلاغ اربكان بها، وبرر ذلك بأنه ليست هناك حاجة للحصول على موافقته. ومن الأمثلة التي تبين تغير موقف اربكان من إسرائيل انه اجبر على استقبال دافيد ليفي David Lavy وزير الخارجية الإسرائيلية في أنقرة خلال شهر شباط 1997م – رمضان 1417هـ وقابله دون أن يتحدث معه عن العلاقات العسكرية بين البلدين.

لقد اعتبرت المؤسسة العسكرية، النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يقوم بها أنصار التيار الإسلامي تهديداً للعلمانية في تركيا لذلك برروا سياستهم إزاء نجم الدين اربكان بأنها وفق الدستور الذي منحهم دورا سياسياً فهذا سيفيل باير Cevik Bir ، نائب رئيس هيئة الأركان والمتحدث باسم الجيش التركي يقول عن ذلك الأمر: " بأننا نتصرف وفق الدستور التركي بشكل صارم حيث يشير البند الثاني أننا دولة علمانية، ويشير البند الرابع أن هذا النص لا يمكن تغييره، ولقد أعطانا البرلمان مسؤولية حماية الأراضي التركية وحماية الجمهورية التركية. في الولايات المتحدة وبريطانية ليست من مهمة الجيش الدفاع عن النظام السياسي، أما في تركيا فان هذه المهمة معطاة لنا من قبل القانون ". [175]

---

[175] د. هشام فوزي عبد العزيز- العلاقات العسكرية الإسرائيلية- التركية.
http://www.islamdaily.org

ولذلك فإن قادة الجيش قد أرغموا اربكان على الاستقالة من منصبه في 18حزيران 1997م –12صفر 1418هـ. وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات العسكرية التركية مع إسرائيل قد منحت قادة الجيش التركي قوة دفع، ووسائل مناسبة للتصدي لمختلف النشاطات الإسلامية في تركيا، كما وفرت لهم المعلومات المناسبة عن الارتباطات الخارجية لتلك النشاطات.

واستمرت وتيرة العلاقات العسكرية الإسرائيلية – التركية بالتطور والتوسع في شتى المجالات أعقاب استقالة اربكان وحتى نهاية عام 1998م –1418هـ. فعلى صعيد الزيارات العسكرية بين البلدين قام طرخان طيان Turhan Tayanوزير الدفاع التركي بزيارة إسرائيل تعتبر الأولى من نوعها وذلك في الفترة 1997/4/3م – 1417/11/26هـ – 1997/5/2م – 1417/12/25هـ أجتمع خلالها مع الرئيس الإسرائيلي عزرا وايزمن ورئيس الحكومة الإسرائيلي آنذاك بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyah ونظيره وزير الدفاع الإسرائيلي إسحاق مردخاي Yitzhaq Mordachai تناولت المباحثات بين الطرفين شؤون التعاون العسكري بينهما. وأعقبها زيارة قام بها نائب رئيس هيئة الأركان التركي سيفيل باير إلى إسرائيل يرافقه وفد يضم 24 عسكرياً اجتمعوا مع نظرائهم الإسرائيليين قادة الجيش الإسرائيلي إضافة إلى رئيس الوزراء نتنياهو الذي أكد على العلاقات العسكرية المتميزة بين البلدين . وفي المقابل قام وزير الدفاع الإسرائيلي إسحاق مردخاي بزيارة تركيا في 1997/12/9م – 1418/8/9هـ أجتمع خلالها مع رئيس الحكومة التركية مسعود يلماز Mesut Yilmazومع قادة الجيش التركي وتناولت المباحثات توطيد العلاقات العسكرية بين البلدين، وترافق ذلك مع قيام المدير العام لوزارة الدفاع الإسرائيلية ايلان بيران Elan Biran بالتباحث مع قادة الجيش التركي حول موضوعات التعاون العسكري والأمني بينهما.

وضمن الإطار السابق، زار وزير الدفاع التركي تونشر كيلينش Tonchar kiLLinch إسرائيل في 21 كانون الأول 1997م – 21 شعبان 1418هـ بهدف تعميق العلاقات العسكرية الإسرائيلية– التركية. كما قام دافيد عفري بزيارة تركيا على رأس وفد يضم أعضاء من قسم التخطيط، إضافة إلى قادة من سلاح الجو الإسرائيلي.

وبهدف توطيد العلاقات العسكرية الإسرائيلية – التركية قام المرشح لرئاسة هيئة الأركان الإسرائيلية شاؤول موفاز ShaoL Movaz بزيارة تركيا في 1998/6/17م –1419/2/22هـ فاجتمع مع كبار جنرالات الجيش . وفي 1 كانون الأول 1998 م –12 شعبان 1419هـ زار قائد سلاح الجو التركي الجنرال ابلريين بتلتيش، إسرائيل وحل ضيفا على قائد سلاحها الجوي آيتان بن الياهو Eitan Ben Eliaho كما التقى مع إسحاق مردخاي إضافة إلى قيامه بزيارة قواعد سلاح الجو والصناعات العسكرية الجوية.[176]

ويتضح مما سبق عمق العلاقات العسكرية الإسرائيلية – التركية ومن مؤشرات ذلك مستوى التنسيق والزيارات ذات الأغراض والأهداف والمستويات المختلفة، وإن غلب عليها زيارات الشخصيات السياسية والعسكرية رفيعة المستوى كما أنها اتسمت بالتطور وبالتكرار. يضاف إلى ذلك أن البلدين وقعا العديد من الاتفاقيات العسكرية والأمنية التي من شأنها أن تؤكد عمق تلك العلاقة بينهما.

إن من شأن توطيد تركيا لعلاقاتها العسكرية مع إسرائيل إن توطد، أيضا، العلاقات في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وبالتالي فإن إسرائيل ستقدم لتركيا خبراتها في تلك المجالات، إضافة إلى أنها ستدعم الدخول التركي إلى المؤسسات الاقتصادية العالمية، كالسوق الأوربية المشتركة، ثم أن بإمكان مراكز الضغط اليهودية في الولايات المتحدة أن تدعم المطالب

---

[176] د. هشام فوزي عبد العزيز- العلاقات العسكرية الإسرائيلية- التركية.
http://www.islamdaily.org

العسكرية والاقتصادية التركية في الإدارة الأمريكية. ومن الأمثلة على ذلك، أن المؤسسة العسكرية التركية طلبت من دافيد ليفي وزير الخارجية الإسرائيلي، في أثناء زيارته لأنقرة عام 1997م-1417هـ، أن تستخدم إسرائيل نفوذها لدى واشنطن من أجل الإفراج عن الأسلحة التركية المحتجزة.

رأت تركيا أن مساهمة إسرائيل في تحديث قواتها العسكرية سيجعلها مؤهلة لأن تساهم بفاعلية في المجال الإقليمي، أي في منطقة الشرق الأوسط واسيا الوسطى، هذا في ظل قوة اقتصادية تتمتع بها، وموقع استراتيجي مهم. ومن شأن ذلك أن يتيح لها القيام بدور إقليمي بارز في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية، بالتنسيق والتعاون مع إسرائيل والولايات المتحدة، وذلك بهدف مواجهة " الإرهاب " الذي يتمثل من وجهة نظرهم " بالإسلام الأصولي " ممثلاً ببعض المنظمات الإسلامية المتطرفة في تركيا ومنظمة حماس الفلسطينية وحزب الله اللبناني، وحزب العمال الكردستاني. كما تسعى تلك الدول من وراء تعاونها الإقليمي نشر الاستقرار والأمن، وحفظ التوازن الإستراتيجي، ومنع انتشار الأسلحة غير التقليدية لدى الدول الأخرى غير تركيا وإسرائيل، وبالذات الدول الإسلامية.

لقد وضعت تركيا خططها العسكرية لتطوير جيشها وتحديثه ليصبح قادراً على أن يكون في طليعة الجيوش في منطقة الشرق وحتى على المستوى العالمي، وعليه فإن أهم ما جاء في تلك الخطط المستقبلية إنفاق نحو 150 مليار دولار أمريكي لتحديث الجيش التركي خلال 25 عاماً، ينفق من بينها 65 مليار دولار لتطوير سلاحها الجوي، و 60 مليار للقوات البرية، و 25 مليار للقوات البحرية.

وكان بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تقوم بتطوير وتحديث الجيش التركي لأن 80 % من أسلحته مصدرها منها. وقد واجهت تركيا صعوبات في الحصول على الأسلحة الأمريكية المتطورة نظراً لاعتراضات جماعات حقوق

الإنسان الأمريكية على تزويدها بالأسلحة وذلك لانتهاكها حقوق الإنسان فيها[177].

إضافة إلى اعتراض جماعات الضغط والمجموعات المعارضة لتركيا وبخاصة اليونانية التي عارضت بشدة تزويد تركيا بالأسلحة المتطورة ولم تكن إدارة الرئيس الأمريكي بيل كلنتون BiLL Clenton راغبة في خوض صراع مع تلك المجموعات بل لجأت إلى إسرائيل، من الباب الخلفي لها، والتي تمتلك تكنولوجيا عسكرية متقدمة وبديلة عن الأسلحة والتكنولوجيا الأمريكية لتقوم بهذه المهمة من خلال تشجيعها لقيام تحالف إسرائيلي – تركي، وبذلك فإن تلك المجموعات لا تستطيع الاعتراض على قيام إسرائيل بتحديث وتطوير الجيش التركي وتزويده بالأسلحة المتطورة، لاعتبارات عديدة أهمها أنها دولة حليفة للولايات المتحدة، والنفوذ اليهودي فيها كبيراً. ويضاف إلى ذلك أن الأسلحة الإسرائيلية أقل كلفة من الأسلحة الأمريكية، وإسرائيل لا تربط عملية بيع أسلحتها بقضايا حقوق الإنسان. وبذلك فان الولايات المتحدة استطاعت الخروج من الوضع السابق من خلال تشجيع التحالف العسكري الإسرائيلي– التركي الذي يلبي للأخيرة الحصول على أسلحة متطورة، ويلبي المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط في الوقت نفسه.[178]

العلاقات الاقتصادية:

رغم فتور العلاقة بين تركيا وإسرائيل منذ عدة سنوات إلا أن التبادل التجاري بين البلدين يسجل أرقاما غير مسبوقة.

يشار إلى أن الميزان التجاري بين إسرائيل وتركيا ارتفع بنسبة 25% خلال العامين الأخيرين، بحسب ما ورد على لسان القنصل الإسرائيلي في إسطنبول،

---

[177] د. هشام فوزي عبد العزيز- العلاقات العسكرية الإسرائيلية- التركية. http://www.islamdaily.org

[178] د. هشام فوزي عبد العزيز- العلاقات العسكرية الإسرائيلية- التركية. http://www.islamdaily.org

شاي كوهين الذي أكد أن إسرائيل أصبحت شريكا تجاريا قويا لتركيا في المنطقة.

ونقلت صحيفة "ميللي جازته" التركية، عن القنصل الإسرائيلي، قوله إن حجم الصادرات التركية إلى إسرائيل قفز إلى 2.925 مليار دولار بحلول عام 2014، مسجلا زيادة قدرها 94.34% بعد أن كان نصف مليار دولار فقط في عام 2009، وأشار القنصل الإسرائيلي إلى أن الزيادة الملحوظة في حجم التبادل التجاري بين تركيا وإسرائيل لم تقتصر على الصادرات التركية لإسرائيل فقط، بل شهدت الواردات الإسرائيلية لتركيا أيضا زيادة ملحوظة خلال الفترة الأخيرة.[179]

كثيرة هي الوثائق التي تثبت صحة ما نقول وتميط اللثام عن حقيقة التعاون الإسرائيلي– التركي في شتى المجالات وعلى رأسها المجال العسكري، الذي يختلف اختلافا كلياً عن التعاون الإيراني والجماعات التي تواليها في أصقاع الأرض فالأولى تعمل على بناء وتطوير جيوش حلفائها في المنطقة وتنسيق بينهم جاري على أعلى المستويات. وخير مثال على ذلك هو منح إسرائيل في السنة الماضية الأردن 16 طائرة مروحية " كوبرا" لغرض تأمين حدود المملكة مع العراق؛ ولقد كشفت وثيقة سرية نشرت في موقع ويكيليكس بالعربي،عن مساعدات إسرائيلية تقدم للأردن لتشغيل مفاعلها النووي.

وأعلن شاؤول شوريف المدير العام لهيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية أن تل أبيب ليس لديها أي اعتراض على تأسيس منشآت نووية في الأردن ومن المقرر أن تتعاون معها في هذا الصدد.

---

[179] انتعاش غير مسبوق للتجارة بين إسرائيل وتركيا رغم فتور العلاقة بينهم – http://www.i24news.tv

ونقل موقع خبر أون لاين عن ويكيليكس أنه وفقاً للوثيقة شكلت هيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية لجنة توجيهة بالتعاون مع نظيرتها الأردنية. وهذه اللجنة مشغولة بالأبحاث الجيولوجية والهيدرولوجية لتنفيذ خطة المنشآت النووية في الأردن.

وقال شوريف: إن هذه اللجنة شكلت أول اجتماعاتها عام 2009 في العاصمة الأردنية وهي الآن تنتظر تحديد وقت انعقاد الاجتماع القادم، حسب ما جاء في الوثيقة.

ووفقاً للوثيقة، زعم نائب المدير العام لهيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية دافيد دانيلي أن إسرائيل لا تميل إلى عرقلة البرنامج النووي الأردني ، لكن تل أبيب لديها مخاوف من القضايا الحدودية والأمنية المتعلقة بالمفاعل في الأردن.

بينما نجد إيران تستخدم الجماعات الشيعية الموالية لها من أجل تحقيق مأربها فقط، لقد استخدمت شيعة العراق ومدتهم بالسلاح بدل الدواء والتكنولوجيا من أجل ضرب وحدة العراق وتفتيته، وهاهي ذي تعيد الكَرة مع شيعة سوريا في سوريا، وفي اليمن مع الحوثيين، وفي الخليج مع شيعته ومن قبلهم لبنان الذي ينخر جسده حزب الله؛ فعجبا لقوم يخربون بيوتهم بأيديهم خدمة لأعدائهم...!!

الخاتمة

سأختم كلامي برؤيتين الأولى أخص بها الشعب الفلسطيني، والثانية أوجهها إلى المسلمين- أهل السنة- عامة.

عاشت جل الدول العربية في خمسينيات القرن الماضي تحت ما وصفوه بالاحتلال، الذي ألحقوا به أشنع الصفات فكان هذا جزاء من جاء لينتشلهم من الجهل والتخلف ويأخذ بيدهم إلى الرقي والحضارة، فتعالت أصوات ثلثة من الحمقى تنادي بضرورة طرد الغزاة البغاة على حد تعبيرهم وقاموا بالثورة وكان لهم ما أرادوا فما إن خرج أخر فرد من حُماة الحضارة حتى سقطت أقنعة أولياء الله الصالحين المنزهين عن كل الآثام سوى هتك عرض الجيران، ونهب أموال المستضعفين، وراحوا يعيثون في الأرض فساداً يقلدون بعضهم البعض الأوسمة والنياشين ويوكلون لأهلهم وأبناء عمومتهم المناصب الرفيعة بفضل الترقية السريعة على مرأى ومسمع من ضحوا بالنفس والنفيس من أجل أكذوبة الوطن والوطنية. وأتى المقدسون وأولياء الله الملطخين بدماء من قال:لا، على الأخضر واليابس بعدما كان الاحتلال يأكل الأخضر ويرمي اليابس للشعب.

بفضل هؤلاء القدسيين عادت البلدان العربية إلى أيام الجاهلية كما يرجع لهم الفضل في تفشي الجهل والأمية بين أبناء الوطن. وأثقلوا كاهل المسكين بالديون والضرائب وسلبوه حقه بالمحسوبية، ولأول مرة أسمع وأرى أن مسلما يعطي الجزية لمسلم عن يد وهو صاغر، نعم حدث ذلك كله وأكثر في عهد من رفعوا في وجوه الكادحين شعار الحرية والعزة والكرامة والأعياد الوطنية و....

لهذا أقول لك أخي الفلسطيني ويا أختي الفلسطينية: اعتبروا مما حدث لإخوانكم في الأوطان العربية ولا تنخدعوا بالمصطلحات الوهمية، فو الذي نفسي بيده

أنتم لمحظوظون تعيشون في كنف أعظم دولة عرفتها البشرية. فعيشوا وتعايشوا مع الشعب الإسرائيلي واعملوا معهم على طي صفحة الماضي، فلا حكومتكم الماضية ولا الحالية ولا التي ستأتي بعد مئة قرن تستطيع أن توفر لكم عُشر ما توفره الحكومة الإسرائيلية لشعبها.

أما رؤيتنا الثانية والتي نوجهها للمسلمين عامة –أهل السنة– لا تترددوا ولا تتحرجوا في التطبيع مع دولة إسرائيل إنه جائز أيضا بل هي أولى بالجواز من غيرها، كما جاء في كتاب { أحكام التعامل مع غير المسلمين والاستعانة بهم في الفقه الإسلامي ص379 لدكتور عبد الحكيم أحمد محمد عثمان قسم الفقه المقارن }:(وذلك لحاجة الدولة الإسلامية لها، فإن الواجب على الدولة الإسلامية تقوى نفسها بكل السبل التي تضمن لها العزة والمنعة والقوة، وإذا كان الفقهاء لم يشترطوا إسلام العاقد في البيع والشراء، فإن حكم شراء الأسلحة من غير المسلمين داخل تحت ذلك).

كما أنه يجوز استئجار واستعارة من غير المسلمين عموما، والذي يبدوا أنه لا حرج على المسلمين في أن يستعينوا بأموال غير المسلمين في الجهاد وها هو ذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم يضرب لنا أروع مثال على ذلك حين استعار من صفوان بن أمية درعا يوم حنين فقال: أغصبا يا محمد؟ فقال النبي: { لا بل عارية مضمونة}

–روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه جمع أبي سفيان ليخرج إليه يوم أُحد، انطلق إلى اليهود الذين كانوا بالنضير فوجد منهم نفراً عند منزلهم فرحبوا، فقال:{ إنا جئناكم لخير، إنا أهل الكتاب وأنت أهل الكتاب، وإن لأهل الكتاب على أهل الكتاب النصر، وأنه بلغنا أن أبا سفيان قد أقبل إلينا بجمع من الناس، فإما قاتلتم معنا وإما أعرتمونا سلاحاً}. ويقول ابن القيم– رحمه الله –

(إن الإمام له أن يستعير سلاح المشركين وعدتهم لقتال عدوه، كما استعار رسول الله صلى الله عليه وسلم درع صفوان وهو يومئذ مشرك). أما في مسألة

الاستعانة برجال غير المسلمين في جهاد غير المسلمين وردت فيه أقوال متضاربة ورؤى متشعبة ولكننا سنقف وإياكم على ما أفضى إليه الخلاف، لقد نوقشت أدلة المنع بمناقشات عدة وهي:

-أدلة المنع كلها منسوخة بأدلة الجواز وذلك لأن أدلة المنع من الاستعانة كانت في بدر، وأدلة الجواز كانت في أحد وحنين، وهوزان، وهي متأخرة على أدلة المنع، وقد قال ابن حجر: هذا أقرب الأوجه وعليه نص الشافعي.

-قالوا يحتمل أن هذه الأدلة جاءت للتفريق بين أهل الكتاب والمشركين، فأهل الكتاب تجوز الاستعانة بهم، وأما المشركون فلا يستعان بهم، فإن خرجوا لمنع المسلمين لم يمنعوا.

-ناقشوا الدليل الوارد عن عائشة -رضي الله عنها- بعدة مناقشات فقالوا:

أولا:

يُحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رده لأنه-عليه الصلاة والسلام- كان له الخيار في أن يستعين بالمشرك أو يرده. كما يكون له رد المسلم أيضاً من معنى يخاف منه أو لشره.

ثانياً:

أو يُحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قد رده رجاء إسلامه حيث تفرس فيه الرغبة في الإسلام، فصدق ظنه صلى الله عليه وسلم فأسلم الرجل.

ثالثاً:

ويحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رد المشرك لأنه خشي أن يكون عينا للمشركين.

ويقول الدكتور/عبد الله الطريقي في هذا الشأن:

الواقع أننا إذا أمعنا النظر في الأدلة، بدا لنا أن أكثر أدلة المنع سابقة في التاريخ على أدلة الجواز؛ إذ أن أدلة المنع كانت في غزوة بدر وأُحد وهما كانتا في العام الثاني والثالث للهجرة، وما ذُكر في سبب نزول قوله تعالى:{ لا

يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين} (سورة آل عمران الآية28).
فقد ورد في سبب النزول قضايا أخرى وحوادث غير ما ذكر وأنه كان في غزوة الأحزاب، وأدلة الجواز كانت في غزوات متأخرة في التاريخ كحنين وهوزان، والطائف وبذلك يكون حكم جواز الاستعانة متأخراً على حكم المنع فيكون ناسخاً له ويكون هو المعمول به.180

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وأله وصحبه أجمعين

---

[180] الدكتور عبد الحكيم أحمد محمد عثمان قسم الفقه المقارن كلية الشريعة والقانون بالدقهلية – أحكام التعامل مع غير المسلمين والاستعانة بهم في الفقه الإسلامي دراسة فقهية مقارنة- ص379و 399

المصادر والمراجع

– إبراهيم الحارتي، الصهيونية من بابل إلى بوش، طنطا، دار البشير للثقافة والعلوم،2006.

– د. علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة الأستاذ حيدر مجيد، تقديم إبراهيم الدسوقي شتا، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأمير للثقافة والعلوم، سنة 2007

– د. محمد بسام يوسف، المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدماته أخطاره وسائل التصدي له، الطبعة الأولى 2010.

– د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، الطبعة الأولى، دار النفائس، سنة 2009.

– د. وسام العكلة، إسرائيل والبرنامج النووي الإيراني.

– د. وليد عبد الناصر، إيران دراسة عن الثورة والدولة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، سنة 1997.

– د.علي شريعتي، الإمام علي في محنه الثلاث، ترجمة الأستاذ علي الحسيني، تقديم الدكتور إبراهيم دسوقي شتا، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأمير للثقافة والعلوم، سنة2007

– عبد العزيز بن صالح المحمود الشافعي، عودة الصفويين، الطبعة الأولى، مكتبة الإمام البخاري، مصر، سنة 2007.

– فاضل رسول، هكذا تكلم علي شريعتي، الطبعة لثالثة، بيروت، دار الكلمة للنشر، سنة1987

- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، الكتاب الحادي عشر، طبعة مصححة ومرتبة على حسب ترتيب المصنف، رقم الطبعة(110)، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية.

-د. محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، الطبعة التاسعة، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2015

-جون جي. مير شايمر، ستفن إم.والت، أمريكا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية،نقله إلى العربية فاضل جتكر، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان،سنة 2006.

الصحافة والمواقع الإلكترونية :

- إحباط "مخطط إرهابي" في الأردن والمتهم فيلق القدس الإيراني www.3alyoum.com

- في معنى أن تكون سوريا محافظة إيرانية www.aljazeera.net

- مظاهر تغلغل الإيراني الشيعي في البلدان السنية www.altanweer.net

- معهد العربية للدراسات، التمدد الإيراني في أفغانستانمابين الانسحاب الأمريكي والبدائل المتاحة.

- هل دخلت إيران بلداً عربياً إلا وكان مصيره الخراب والضياع؟ جريدة القدس العربيwww.alquds.co.uk

- المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية(لجنة الشؤون الخارجية)

- وهم الديمقراطية في إسرائيل. http://www.youm7.com

- ويكيليكس تكشف وثائق سرية يتنازل بموجبها الفلسطينيون عن القدس وحق العودةwww.arabic.rt.com.

- مسارات جديدة لاستشراف مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي www.acrseg.org

- حماس تضبط صواريخ كانت معدة للإطلاق تجاه تل أبيب. -www.al-masdar.net

- هل حقاً بات الصراع مع إسرائيل ثانوياً في الشرق الأوسط

- www.arabic.sputniknews.com منطق مساعدات أمريكا العسكرية لإسرائيل.www.ar.qawim.net

- مركز الزيتونة للدراسات ولاستشارات - دراسة مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل في البحث العلمي وبراءة الاختراع-.

- مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية - جامعة الكويت -{دول الخليج والوطن العربي تتباطأ في التحول إلى اقتصاد المعرفة}

- العلاقات العسكرية الإسرائيلية- التركية. www.islamdaily.org

- www.i24news.tv

- دعاة ونشطاء يحذرون من جرائم إيران وأهدافها التوسعية www.thenewkhalij.com

- جورج كيسي شاهد على جرائم إيران في العراق www.alarab.co.uk

- نيوزويك تستنكر التواطؤ مع جرائم إيران في العراق www.albawabhnews.com

- مجزرة ديالي ميليشيات شيعية تواصل التطهير الطائفي تحت غطاء الحرب على الدولة الإسلامية www.thenewkhalij.com

- في معنى أن تكون سوريا محافظة إيرانية www.aljazeera.net

- مخططات إيرانية لاستنساخ "حزب الله" في سوريا www.main.islammessage.com

- موريتانيا : برلماني يدعو إلى قطع العلاقة مع إيران www.saharamedias.net

المحتويات